دكتور عبد الغني عبود

العقيدة الإسلامية

والأيديولوجيات المعاصرة

الكتاب الأول

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

الاسلام وتحديات العصر

الكتاب الأول

العقيدة الإسلامية

والأيديولوجيات المعاصرة

تأليف

دكتور عبد الغني عبود

كلية التربية جامعة عين شمس

الطبعة الثانية

١٩٨٠

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الطبعة الأولى ١٩٧٦

الطبعة الثانية ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ « قال : رب اشرح لى صــدرى ، ويسر لى أمــرى ، واحــلل عقــدة من لسانى ، يفقهوا قولى »

(قرآن كريم : طه ــ ٢٠ : ٢٥ ــ ٢٨)

***

ـ « ٠٠ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وانت خير الفاتحين »

(قرآن كريم : الاعراف ــ ٧ : ٦٩)

الفهرس

الموضوع		الصفحة

الموضوع الصفحة



هذه السلسلة

ليست هذه السلسلة سلسلة دينية بالمعنى التقليدى ، كما يبدو للوهلة الأولى من عنوانها ، وان كان الدين الاسلامى يعتبر محورها الأساسي .

ولقد كان الدافع الى اصدار هذه السلسلة ، بعيدا كل البعد عن الدين ، قريبا كل القرب من العلم الخالص ... فى مجال التربية ، الذى تخصصت فيه ، وحوله تدور قراءاتى ودراساتى . وما أقوم به من أبحاث .

وصحيح أن الدين ليس حكرا على متخصصين فيه ، كما هو الحال فى الكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والأدب واللغة والتربية ، ولكن المتخصصين فيه - بالضرورة - أقدر على العطاء ، وغير المتخصصين فيه لابد أن يكون عطاؤهم اقل ، وبجهد أكبر .

ويعود الدافع الى اصدار هذه السلسلة ، الى سنوات خلت ، حيث كان يضمنا (سمنار) الدراسات العليا بكلية التربية جامعة عين شمس ، وأراد احد الدارسين تسجيل رسالة عن (التربية الاسلامية) ، يحصل بها على درجة الماجستير فى التربية ، وهالنى رد أحد الزملاء - الأساتذة - عليه بأنه لا يوجد - للأسف - تربية اسلامية(١) .

ولم يكن بين يدى الرد لبلتها على الزميل ، ولا قدرة - بالتالى - على مناصرة الطالب ، ومن ثم أمسكت عن الرد ، حتى يكون بين يدى الدليل .

ورجعت الى ما كتب عن (التربية الاسلامية) فى الكتب والمجلات

---

(١) الف الزميل كتابا فى التربية الاسلامية ، بعد حوالى أربع سنوات من قوله هذا ، وذلك عندما صار (الحصان الاسلامى) ، هو (الحصان الرابح) فى الساحة العالمية ... كما هو واضح اليوم ... بحمد الله .

العلمية ، فلم أجد فيما كتب متصلا بالتربية الاسلامية ســوى ... العنــوان ؛ رغم أن بعض ما قرأته ، كان لمفكرين اسلاميين .. كبار .

وكان على ان أعتمد على الله وعلى نفسى ، فى التصدى لهذه المغالطة العلمية ، التى يقول بها بعض رجال التربية عن جهل ، ويسكت عنهـا البعض الآخر عن قصور .

وجمعت المادة العلمية فيما يزيد على عام كامل ، وبدأت أنظم هذه المادة ، وكتبت بالفعل ـ على أساسها ـ كتابا متكاملا عن (الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام) ، ولم يكن ينقصه سوى أن يدفع به الى المطبعة ، ليرى ـ بعدها ـ النور ، ويبث ـ بعـدها ـ نور الحقيقة فى قلوب الجاهلين بها ، والمتغافلين لها .

ثم عدت الى نفسى ، وقلت لها : ولكن المسـئولية أمام الله أكبر من هـذا الجهـد الذي بذلته ، فقد كان لابد ـ فى نظرى ـ من مزيد من البحث .

وقلت لنفسى أيضا : ولكن هذا الجهد الذى بذل كبير ، وهو جدير بأن يرى النـور .

واستقرت نفسى على أن الخص هذا الذى كتبته ، فى ستين صفحة ، نشرت تحت نفس العنوان ، فى المجلد الثالث من (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس) ، الذى صدر مع مطلع سنة ١٩٧٦ .

ثم استقرت بعد ذلك على نشر هذا المقال ، مع مقالين آخرين ، ظهـرا فى مجلات علمية أخرى ، عن (التربية الاسلامية) ، فى كتاب يصـدر قريبا تحت عنوان (مقولات فى التربية الاسلامية) ، نظرا لأن كل مقال من المقالات الثلاثة قد صدر ـ حيثما صدر ـ مليئا بالأخطـاء المطبعية ، التى افسدت المعنى الذي كنت اريده في بعض المواقف افسادا (١) .

---

(١) صدر الكتاب بالفعل بعد الطبعة الأولى لهذا الكتاب الأول تحت عنوان (فى التربية الاسلامية) ، ونشرته دار الفكر العربى ، سنة ١٩٧٧ ، وضم الى جانب المقال المذكور ، مجمـوعة مقـالات ، نشرت فى مجلات علميـة مختلفـة ، بمناسبات مختلفة ، تدور كلها حول هذا المحور ، الذى اتخذ عنوانا للكتاب .

واستقرت نفسى — قبل ذلك وبعده — على أن أعمق مفهومى عن الاسلام ، وعن (الشخصية القومية الاسلامية) ، فهى المنطلق الحقيقى للحديث — الصادق — عن (التربية الاسلامية) ٠

ذلك أننا ندرس نظام التربية فى أى مجتمع ، فى ضوء (الشخصية القومية) لذلك المجتمع ، وبدون تلك (الشخصية القومية) ، يكون نظام التربية — فى نظرنا — نحن رجال التربية — معلقا فى الهواء ٠

وفى ضوء تلك (الشخصية القومية) درست — وتدرس — التربية فى البلاد الراسمالية عموما ، وفى كل بلد منها ، كما تدرس التربية فى البلاد الشيوعية عموما ، وفى كل بلد منها ٠

وفى ضوئها كذلك ، درست — وتدرس — التربية المسيحية ، والتربية اليهودية ٠

أما التربية الاسلامية ٠٠ فلم تجد حتى الآن — فى حدود علمى — من درسها هذه الدراسة العلمية المنهجية ٠

ومن ثم كان هناك من يقول بانه لا توجد تربية اسلامية ، لأن الشخصية الاسلامية اليوم شخصية ، لا هى الى الاسلام تنتمى ، ولا هى عن الاسلام تعرف الكثير ، ومن ثم صارت تلك الشخصية شرا على الاسلام وخطرا عليه ، أكبر من الشر والخطر الذى يستطيعه أعداء الاسلام أنفسهم ٠

ومن ثم فالشخصية القومية الاسلامية المعاصرة ، لا يمكن أن تكون هى المدخل الصحيح لفهم التربية الاسلامية ، وانما المدخل الصحيح لها هو تلك الشخصية القومية الاسلامية فى عصور الاسلام الأولى ٠

ولو عاد المسلمون الى فهم الاسلام من جديد ، كما يجب أن يفهم ، لعادوا الى أنفسهم ، وعادت اليهم قوتهم وعزتهم ٠٠ وحضارتهم ، خاصة وأن الدراسة التى قمت بها أكدت لى أن الاسلام قادر على مواجهة (تحديات العصر) ، وأن المسلمين — بالاسلام — قادرون على مواجهة تلك التحديات ، وأنهم — بدونه — عاجزون ٠

ومن ثم يكون الهدف من السلسلة .. تربويا خالصا .

ولكنه هدف .. دينى أيضا .

فالمسلمون اليوم ، بفعل عوامل متعددة ، لا يعرف الكثيرون منهم عن الاسلام الكثير ، وهم يعرفون عنه ما يعرفه غيرهم لهم ، لا ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم .. من مصادره الصحيحة : الكتاب والسنة .

بينما هم يعرفون عن النظم والفلسفات المعاصرة - ذات البريق - الأخاذ - الكثير والكثير .. لأن غيرهم أراد ذلك لهم .. بفعل عوامل متعددة كذلك .

والوظيفة الرئيسية لهذه السلسلة هى : أن تضع الاسلام - بجوانبه المتعددة - وجها لوجه - أمام النظم والفلسفات المعاصرة .. لنرى : أيها أقدر على مواجهة تحديات العصر .

وعندما يكتشف المسلم أن اسلامه هو القادر على مواجهة تحديات العصر ، وأن الفلسفات والنظم المعاصرة ، ان هى الا الوان من العلاج مؤقتة .. مفلسة ، فانه - لابد - سيعود الى نفسه ، ويصالح دينه ، ويقرأ عنه ، ويقف على ما فيه .. وقوفه على ما فى الفلسفات المستوردة ، ذات البريق الأخاذ .. الخادع .

وعند هذا الحد تقف رسالة السلسلة .

ومن هنا قلت وأصررت على انها ليست سلسلة دينية بالمعنى التقليدى !

ومن أراد الدين بالمعنى التقليدى ، فكتبه معروفة ، وكتابه معروفون .

ولكن المسلمين الذين أكتب هذه السلسلة لهم ، ليسوا مستعدين منذ البداية لأن يضيعوا وقتا فى قراءة تلك الكتب الدينية ، وفى القراءة لهؤلاء الكتاب المعروفين ، لأن الاسلام - كما فهموه - لا يصح أن يضيعوا فيه وقتا .. يضيعون أكثر منه فى المذاهب ذات البريق ... الخداع .

وبعد اتضاح (معالم الشخصية القومية) الاسلامية ، مقارنة بمعالم (الشخصيات القومية) الأخرى ، التى نراها فى ظل الأيديولوجيات المعاصرة ..

من زوايا عديدة ، وذلك من خلال هذه السلسلة ، سوف أعود من حيث بدأت ، فالخص ما وصلت اليه ، وأتخذ منه منطلقا للحديث عن (التربية الاسلامية) .

والجهد الذى يجب ان يبذل فى اعداد هذه السلسلة كبير ، والجهد الذى يجب أن يبذل بعدها فى الحديث عن التربية الاسلامية كبير .. ولكن الهدف الذى تحققه السلسلة ، والدراسة الخاصة بالتربية الاسلامية - بعدها - فى نظرى - اكبر واعظم ، وفى سبيله تهون الصعاب ، وعلى الله قصد السبيل .

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ .
- مايو ١٩٧٦ م .

تقـديم الطبعة الثانية من السلسلة

لم أكن أتوقع أن تقابل السلسلة ، بهذا القدر من الترحيب الذى قوبلت به ، ولم أكن أتوقع ـ بالتالى ـ أن يصدر الكتاب التاسع من هذه السلسلة (الملامح العامة للمجتمع الاسلامى) ، مـع الطبعـة الثانية لكتابهـا الأول ، وأن يـدفع بالكتاب العاشر منها (ديناميات المجتمع الاسـلامى) ، الى المطبعـة ، فى نفس الوقت ، ليرى النور بعد فترة محدودة .

فاللهم ربى ، لك الحمـد فى الأولى ، ولك الحمـد فى الآخرة ؟

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ .

ـ مـــارس ١٩٨٠ م .

وهذا الكتاب ... الأول

وهذا الكتاب الأول هو الآخر ، ليس كتابا فى العقيدة ، بمعناها الدينى التقليدى المعروف ، الذى تدور حوله الكتابات العقائدية الكثيرة ، التى تفيض بها المكتبة العربية والاسلامية ، سواء فى ذلك الكتب المعاصرة ، التى صدرت وتصدر فى هذه الأيام وسابقاتها من القرن العشرين ، وسواء فى ذلك أيضا الكتب القديمة ، التى بدأت تفرض نفسها على خريطة الفكر الاسلامى ، بعد احتكاك المسلمين بالثقافة والحضارة اليونانيتين على وجه الخصوص ، مع منتصف القرن الثانى الهجرى ، والقرون الهجرية التالية له .

ومع ذلك فهو يتخذ من العقيدة الاسلامية محورا أو منطلقا .

وهى محور هذا الكتاب ، رغم أنه يتعرض لها فى رفق ، وفى أبسط صورة لها ، وذلك لأنها مجال الدراسة الأساسى فيه ، الا أنه يهدف من تناول هذا المحور الى بيان معالمها ، تمهيدا لمقارنتها بالعقائد والأيديولوجيات المعاصرة ، التى تحيط نفسها ببريق خداع ، ووهج قاتل ، يجذب اليه العقول والقلوب ، التى أبعدت ابعادا عن دراسة الفكر الاسلامى ، والعقيدة الإسلامية ، فكان سهلا على الأيديولوجيات المعاصرة أن تحتل ذلك الفراغ ، الذى نجم عن بعد من ابتعد من المسلمين ... عن الاسلام .

فمنهج الكتاب - على ذلك - أن يأخذ من العقيدة الاسلامية ، كما يأخذ من الأيديولوجيات المعاصرة ، بقدر ما يوضح : أيهما أقدر على مواجهة تحديات العصر ؟ ولماذا ؟

ومن هنا كانت العقيدة الاسلامية فى هذا الكتاب الأول محورا ومنطلقا .

وليس الكتاب مقارنة بين الاسلام والأيديولوجيات المعاصرة ، بالمعنى الدقيق للمقارنة ، وانما بالمعنى الساذج لها ، لأن المقارنة العلمية الدقيقة انما تكون بين ندين ، ولا يمكن أن تكون الأيديولوجيات المعاصرة ، التى تمخضت عنها عقليات بشرية ، محدودة محدودة ، مهما بلغت من العبقرية والنبوغ ...

لا يمكن ان تكون ندا للعقيدة الاسلامية ، التى شرعها الله سبحانه ، رب الناس ، ملك الناس ، اله الناس .. أجمعين .

ومن ثم قامت العقيدة الاسلامية بما أريد لها أن تقوم به فى قلوب الناس ، وفى حياتهم ، طالما آمنوا بها ، واستيقنتها انفسهم ، منذ ظهور الاسلام وحتى اليوم ، بينما كان دور الأيديولوجيات المعاصرة هو دور المخدر ، لا يمس الانسان من عمق ، وانما يحل له مشكلة محدودة ، فى زمن محدود لا يتعداه ، ليعود - بعده - الانسان الى الألم .. من جديد .

وشتان بين دواء يقتلع المرض من جذوره ، ومخدر يوهم المريض بأنه اقتلعه ، وليت هذا الوهم يدوم ، ولكنه لا يتعدى لحظات ، يعود بعدها المرض أشد وأعنف .

فاذا ما قلنا : اننا نقارن بين العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ، فانما نقول بذلك تجاوزا فقط ، واذا حاولناه فى داخل الكتاب ، فانما نحاوله ، ليسهل على المجادلين أن يروا الحق والباطل ، ان أرادوا رؤيته ، وأن يتبعوا الحق ، ان كان الله قد كتب لهم أن يكونوا من أتباعه .

ومن أراد - بعد ذلك - تفصيلا فى العقيدة الاسلامية ، أو فى ايديولوجية من الأيديولوجيات المعاصرة ، فليس هذا الكتاب مجاله ، وانما وظيفته أن ينبهه فقط ، فاذا تنبه ، فكتب العقيدة الاسلامية ، القديمة والمعاصرة ، كثيرة كثيرة ، يستطيع أن يقرأ منها ما شاء متى شاء أين شاء ، وكتب الأيديولوجيات المعاصرة أكثر وأكثر ، يستطيع أن يقرأ منها ما شاء متى شاء أين شاء .

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما أردت ، وفيما فكرت ، وفيما كتبت ، وعلى الله - سبحانه - وحده توكلت ، واليه قصدت ، منذ البداية ، ومنه - وحده - أرجو حسن الجزاء .

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : جمادى الآخرة ١٣٩٦ هـ

- يونية ١٩٧٦ م .

تقديم الطبعة الثانية

من هذا الكتاب الأول

فى الوقت الذى صدر فيه ، هذا الكتاب الأول من السلسلة ، باشفاق منى وخوف ، قوبل لدى قرائه ـ بحمد الله ـ بتأييد وتشجيع ، أحمد الله عليهما . ويكفى أن طبعته الأولى نفذت بكاملها ، بعد صدوره بحوالى عام .

ولولا انشغالى باصدار بقية كتب السلسلة ، لصدرت هذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب الأول ... منذ عامين .

بل انه لولا الضغط على شخصيا ، وعلى دار الفكر العربى ، لاعادة طبع هذا الكتاب الأول ، ما وجدت لدى متسعا من الوقت لذلك .

فاللهم ـ ربى ـ أدم على توفيقك ، واشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى .. يفقهوا قولى .

ولك ربى منى خالص الحمد ، وموفور الثناء .

دكتـور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ .

ـ مارس ١٩٨٠ م .

الفصل الأول

بين العقيدة .. والأيديولوجيا

معنى العقيدة :

العقيدة ــ لغــة ــ هى « الايمان بحقيقة معينة ايمانا قطعيا ، لا يقبل الشك أو الجــدل »[1] ، أو هى « الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده »[2] .

وعلى ذلك فان « عقيدة الانسان : مذهبه »[3] باختصار ، أى هى ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبى أكيد ، وعلى أساس هذا الذى يؤمن به ويراه ، يذهب فى حياته ، أى يسير ويسلك .

ولم يكن تعريف (العقيدة) ليحتاج الى ذلك كله ، لولا أننا مضطرون اليه للتعريف بالأيديولوجيا ، ولولا أننا نؤمن بأن المعنى اللغوى لأى اصطلاح ــ مهما كان قريبا من الأذهان ــ يلقى ضوءا قــويا على ما يصطلح عليه الناس فيه ، وأن هــذا المعنى اللغوى يعــد ــ من الناحيةالعلمية ــ أقرب الطرق الى الوقوف على هذا الاصطلاح أو المصطلح ، خاصة اذا كنا نريد توضيح العلاقة بينه وبين مصطلح آخر ، كالأيديولوجيا .

وباختصار فان العقيدة مرادفة للايمان .

---

(1) The Concise Oxford Dictionary of Current English, Edited by : H. W, FOWLER and F. G. FOWLER, based on : The Oxford Dictionary; Fourth Edition, Revised by : E. MCINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959, pp. 106, 107.

(٢) المعجم الوسيط ــ الجزء الثانى ــ قام باخراجه : ابراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار ــ أشرف على طبعه : عبد السلام هارون ــ مجمع اللغة العربية ــ مطبعة مصر ــ ١٩٦١ ، ص ٦٢٠ .

(٣) الياس أنطون الياس ، وادوار أ. الياس : القاموس العصرى ، عربى انجليزى ــ الطبعة التاسعة ــ المطبعة العصرية ــ ١٩٧٠ ، ص ٢٩ .

وقـد تكون هـذه العقيدة عقيـدة دينية ، يؤمن معتقدها بأفـكار وآراء وتصورات معينة ، تتصل بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما تتصل بالحيـاة الدنيا والحياة الآخرة ، وقـد تتصل بتنظيمات معينة لهذه الحياة الدنيا ٠

وقـد تكون هذه العقيدة - أيضا - عقيدة سياسية أو اقتصادية ، لا تتصل من قريب أو من بعيد بالدين ، كما رأينا فى العقيدة الدينية ٠

كذلك قـد تكون هذه العقيدة - دينية كانت أو غير دينية - مبنية على العقل والمنطق ، وقـد تكون مبنية على (الخرافة) والوهم ، بعيدة كل البعد عن العقل والمنطق ٠

وقـد تكون العقيدة الدينية متفقة مع جوهر الدين ، وقـد تكون مناقضة لـه ٠

المهم أنها تعمر القلب ، وتلفظ ما عـداها ، وأنها توجه حياة الانسـان كلها - لا شعوريا - فى طريق معين ، يتفق معها ، فتجعل الانسان يتصرف ويتحدث ، ويعاشر ويقاطع ، ويحب ويكره ، بناء على ما (تمليه) عليه هـذه (العقيدة) ٠

معنى الأيديولوجيـا :

أما الأيديولوجيا Ideology ، فهى - على العكس من ذلك - كلمـة مستوردة ، غير عربية ، وليس لهـا الى الآن مرادف دقيق باللغـة العربية ، يؤدى معناها ٠

ويقال : انها « من أصل يونانى ، مكونة من مقطعين : أديو ، بمعنى ما هو متعلق بالفكر ، ولوجوس ، بمعنى علم ، فالأيديولوجية فرع من الدراسـات الانسانية ، التى تبحث فى طبيعة الفكر ، ونشأة الصـور العقلية عنـد الانسـان »(١) ٠

كما يقال : انها « كلمة لاتينية الأصل ، مشتقة من (Ideal) ، أى (المثل)

---

(١) أحمد عطية : القاموس السياسى - الطبعة الثالثة - دار النهضة العربية - ١٩٦٨ ، ص ١٦١ ٠

أو (المثال) » ، وانها « ناتج عملية تكوين نسق فكرى عام ، يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ، ويطبق بصفة دائمة »(١) ·

ومهما كان أصلها ، فانها تتكون من مقطعين ، هما : Idea ، بمعنى فكرة ، و ology ، بمعنى علم ، شأنها فى ذلك شأن كل العـــلوم ، مثل علم الاجتماع Sociology ، وعلم النفس Psychology ، وعلم الانســـان Anthropology ، وعلم السموم Toxicology ، وعلم تطبيق نتائج العلوم (التكنولوجيا أو التكنولوجى) Technology ·

ومعنى ذلك أن (الأيديولوجيا) هى العـــلم الذى يهتم بالأفكار والآراء والتصـــورات ·

وهى تستخدم - لغويا - بمعنيين ، احدهما عام ، والآخر خاص ·

فأما معناها العام ، فهو أنها « مجموعة نظامية من المفاهيم ، فى موضـــوع الحياة ، أو الثقافة البشرية » ، أو « طريقة أو محتوى التفكير ، المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة » (٢) ، أو « أسلوب التفكير الذى تتميز بـــه طبقـــة ، أو يتميز به فرد » (٣) ·

وأما معناها الخاص ، فهو أنها « مجموعة الأفكار ، المبنية على أســـاس نظرية أو نظام اقتصادى أو سياسى » (٤) ، أو هى « النظـــريات والاهـــداف المتكاملة ، التى تشكل قوام برنامج سياسى اجتماعى : مذهب »(٥) ·

وتستخدم الكلمة بجانب هذين المعنيين السابقين ، بمعنى ثالث ، مبنى عليهما ، ينظر اليها من (منظور علمى) ، فيعتبرها علم « التصوريات » ، أو

---

(١) الموسوعة السياسية - اشراف د· عبد الوهاب الكيالى ، وكامل زهيرى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٤ ، ص ٩٩ ·

(٢) منير البعلبكى : المورد ، قاموس انجليزى عربى - الطبعة السابعة - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٤ ، ص ٤٤٧ ·

(3) The Concise Oxford Dictionary, of Current English; Op. Cit., P. 589.

(4) Ibid., p. 585.

(٥) منير البعلبكى (مرجع سابق) ، ص ٤٤٧ ·

« علم البحوث التصورية »[١] ، او « علم الأفكار »[٢] ، أو علم « وضع النظريات (بطريقة حالمة أو غير عملية) »[٣] .

بين العقيدة والأيديولوجيا :

وهكذا يتضح من تعريفنا لكل من (العقيدة) و (الأيديولوجيا) ، أن بين اللفظين علاقة فى بعض الامور ، وانفصالا فى بعضها الآخر ، « فالأيديولوجيا – كما سبق – تعنى تصورا ما للأشياء والأفكار ، وقد يكون هذا التصور نتيجة لعقيدة معينة ، دينية أو سياسية أو اقتصادية ، ولكنه قد لا يكون نتيجة لتلك العقيدة أيضا »[٤] .

مثال ذلك أن تصورات الانسان ، وهى (الثمرة) الطبيعية لأيديولوجيته ، قد تكون أحيانا على عكس ما يعتقد « فغالبية المدخنين يؤمنون بأضرار التدخين وأخطاره ، وكثير من (العلماء) يحملون تمائم ، أو يؤمنون بما يعتقدون أنه خرافات ، وكثير من دعاة الفضيلة ، غارقون الى الأذقان فى الرذيلة » [٥] .

« فبين الأيديولوجيا والعقيدة – على ذلك – صلة ، ولكن هذه الصلة غير قائمة على الدوام »[٦] .

وربما كانت (العقيدة) أقرب الى الفلسفة ، منها الى الأيديولوجيا ، وان كانت تختلف عنها اختلافا جوهريا ، اذ « الفلسفة كما رآها الأولون ، وكما لا تزال فى عرف البعض ، هى البحث عن العلة الأولى ، أو محبة الحكمة ، والحكمة

---

(١) قاموس النهضة ، فى اللغتين الانجليزية والعربية – وضعه اسماعيل مظهر – راجعه محمد بدران ، وابراهيم زكى خورشيد – الطبعة الأولى – مكتبة النهضة المصرية ، ص ٨٩٤ .

(2) The Concise Oxford Dictionary of Current English; OP. Cit., p. 589.

(٣) منير البعلبكى (مرجع سابق) ، ص ٤٤٧ .

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة – الطبعة الأولى – دار الفكر العربى – ١٩٧٦ ، ص ١٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤ .

هى ادراك الأشياء على ما هى عليه ادراكا يقينيا » ، « فالحقيقة المجردة هى موضوع الفلسفه »(١) ٠

ورغم هــذا الاختلاف بين العقيدة والفلسفة ، فان الفلسفة ـ فى أبسط تعريفاتها ـ هى « نظام فكرى ، نشأ فى بيئة اجتماعية معينة ، وتفاعل مــع مشكلات هــذه البيئة ، ثم حاول أن يرتفع فوق هذه المشكلات ، فكرا وتنظيما ، محاولا أن يوجــد الحلول لهذه المشكلات »(٢) ٠

ومعنى ذلك أن العقيدة قريبة من الفلسفة بمعناها العام ، بقدر ما هى بعيدة عن الأيديولوجيا ٠

فلكل انسان (فلسفته) فى الحياة ، وهــذه الفلسفة كونها الانسان نتيجة لظروف حياته فى مجتمعه ، ولظروف تربيته ، واحتكاكاته بالآخرين ، وقراءاته ـ ان كان يقرأ ٠٠٠ وهكذا ٠

وهــذه الفلسفة ليست بالضرورة نتيجة من نتــائج التفكير ، وانمــا قــد تكون فلســفة (عمليــه) ، فرضتها ظروف الحياة فى المجتمــع ، أو اكتســبها الانسان من خلال احتكاكه بالآخرين ، أو خلال تنشئته ـ أو تربيته ـ فى أسرته ـ ٠٠٠ وهكذا ٠

وهنا تختلف الفلسفة عن الأيديولوجيا اختلافا قليلا ، اذ يغلب على الفلسفة الجانب (الفكرى) ، مهمــا كان هــذا الفكر محــدودا ، بينمــا لا تقتصر الأيديولوجيا على الفكر وحــده ، وانما هى تشمل (الانسان) كله : فكره وقلبه واحساساته ومشاعره وأعماله وتفاعلاته واحتكاكاته ، وغير ذلك من جــوانب الحياة الانسانية ٠

وبقــدر ما تبتعد الأيديولوجيا عن الفلسفة فى هــذه المسالة ، تقترب من العقيدة فيها ، رغم تركيز العقيدة على جانب القلب ، تمــاما كما تركز الفلسفة على جانب العقــل ٠

---

(١) صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ـ (دراســـــات فى التربية) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ ، ص ١٨ ، ١٩ ٠

(٢) الدكتور محمد لبيب النجيحى : فى الفكر التربوى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٠ ، ص ٩٨ ٠

وليس هـذا التداخل بين الجوانب الثلاثة فى حيـــاة الانسان - عقيدته وفلسفته وأيديولوجيته - بالامر الغريب ، فالانسان - بطبيعته - كيان واحـد متكامل ، يؤثر بعض جـوانبه فى بعضها الآخر - تؤثر مشاعره واحساساته على تفكيره ، ويؤثر تفكيره على مشاعره ، ويتفاعل التفكير مع الشعور ليكون نمـط (الشخصية) الانســانية ٠

وبعبارة أخرى : ان فلسفة الانسان - ثمرة عقلة - تؤثر فى عقيدته - ثمرة قلبه ، كما تؤثر عقيدته فى فلسفته ، وتتفاعل العقيدة مـع الفلسفة - أى العقل مـع القلب - لتكون فى النهاية - مـع غيرها من جـوانب حياته - شخصيته ، أو أيديولوجيته ٠

ومن ثم تكون علاقة العقيدة بالأيديولوجيا هى علاقة الخاص بالعـام ، أو علاقة الجزء بالكل ٠

ومن هنا كان الخلط فى بعض الكتابات المعاصرة ، حين تترجم الأيديولوجيا Ideology الى (العقيدة) ، أو (المذهب) ، الذى يعنى العقيدة أيضـا ٠ وهو خلط يبدو أن (المجـاز) يلعب دوره فيه ، كاطلاق (القرآن) على الاسلام ، أو (الانجيل) على المسيحية ، أو (التوراة) على اليهودية ، مـع أن كلا منها ليس الا جانبا واحـدا من جـوانب هـذه الأديان الثلاثة - أو كاطلاق اسم العاصمة على البلـد كله ، فكثيرا ما نسمع فى الأخبار ان (القاهرة تقول كذا) ، والمقصود أن مصر كلها هى التى تقول ، ممثلة فى قيادتها - وليست القـاهرة وحــدها ٠

ومن هنا - أيضا - كان اصرارنا على الفصل بين الكلمتين ، ونقل الكلمـة الأجنبية بنصها الى اللغـة العربية ، وذلك أمر جائز ، تماما كما نقلت كلمات مثل الراديو والتليفزيون الى اللغـة العربية بنصها فى عصرنا الحاضر ، وكما نقلت من قبـل كلمات بنصها الى اللغـة العربية ، خاصة من اللغـة الفارسية ، وذلك فى العصر العباسى الأول - عصر ترجمة الحضـارات الأجنبيـة الى اللغـة العـــربية ٠

وذلك ليس أمرا قاصرا على اللغـة العربية ، فكثيرا ما نقلت كلمات عربية بنصها الى اللاتينية ، وذلك فى عصر الاصلاح فى الغرب ، عند ترجمـة العـلوم العربية الى تلك اللغـة ٠

الانســان ••• والعقيدة :

وصف الانسان _ فيما وصف به _ بأنه حيــوان ناطـق ، وبأنه حيـوان اجتماعى ، وبأنه حيــوان ذو ثقــافة •

وكل صفة من الصفات السابقة تحاول أن تلم فى أقل عبارة وأوجزها بأوسع صفات الانسان . وكلها تتفق فيما بينها،على أن الانسان (حيوان)،مشيرة الى الجانب البيولوجى _ أو الحيوانى _ فيه ، ومضيفة اليه صفة أخرى _ كالنطق ، الذى يعنى العقل والتفكير _ أو صفة الجماعية ، التى تعنى الحياة فى جماعة ، يتفاعل معها ، ويتحرك نحـو هـدف مشترك ، تحققه تلك الجماعة بالتفكير المنظم ، أو صفة الثقــافة _ التى تلم بالصفتين السابقتين معـا ، وبذلك تكون أشمل هــذه الصفات •

وليس المقصود بالثقافة هنا الثقافة بمعناها الدارج ، الذى يتناقله الناس خطـا ، بمعنى (العلم) ، « اذ أن الثقافة كانت _ ولا تزال _ عكس العلم _ ملكا للجميع ، شأنها فى ذلك شأن المـاء والهواء ، فلكل انسان ثقافته » ، « فالثقافة بالنسبة للفرد مرادف (للشخصية) ، اذ لكل فرد شخصيته ، التى يتميز بهـا عن غيره من النـاس »[1] •

فالثقافة هى « ذلك النسيج الكلى المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات ، والقيم وأساليب التفكير والعمل ، وأنمـاط السلوك ، وكل ما ينبنى عليه من تجـديدات أو ابتكارات أو وســائل فى حياة الناس ، ممـا ينشأ فى ظله كل عضو من أعضاء الجماعة ، وممـا ينحدر الينا من المـاضى ، فنأخـذ به كما هـو ، أو نطـوره ، فى ضـوء ظروف حياتنا وخبراتنا »[2] •

وهــذه التعريفات المختلفة للانســـان ، والتى يتعــارف عليها علمـاء الأنثروبولوجى وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء التربية ، تلم بجـانبين اثنين فقط من جوانب الانسان ، وهما جانبه الحيوانى أو البيولوجى ، وجانبه العقلى _ ناسية جانبا ثالثا لا يقـل عنهما خطورة ، وهـو الجانب الانفعـالى أو العاطفى ، فالعاطفة والانفعال أسبق فى حياة الانسان من الادراك والعقل •

---

(١) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلســفة عربية للتربية _ الطبعة الأولى _ دار الفكر العربى _ ١٩٧٦ ، ص ٥٤ •

(٢) دكتور الدمرداش سرحان ، ودكتور منير كامل : المنــاهج _ الطبعـة الثالثة _ دار العلوم للطباعة _ ١٩٧٢ ، ص ٤٨ ، ٤٩ •

ولذلك ربما كان الوصف الأقرب الى الحقيقة للانسان ـ اذا كان لابد من وصفه بصفتين اثنتين على غرار ما سبق ، هـو أن الانسان (حيـوان ذو عقيـدة) ٠

والعقيدة الدينية فى رأى معظم الباحثين تكاد أن تكون (غريزة فطرية) ، شأنها فى ذلك شأن الغرائز الفطرية الأخرى ، كالمحافظة على النفس ، والمحافظة على النوع ، وغيرها ، اذ يرون أن « فى الانسان (حاسة) روحية ، تتلمس آفاق النور دائما ٠٠ وأنه مهما غرق الانسان فى الظلام ، فان تلك الحاسة لا تغفـل عن وظيفتها أبدا ٠٠ »[1] ، حيث « يولد الانسان وبه ايمان فطرى بوجـود قوة خفية تسيطر عليه ، وعلى الحياة حـوله ٠٠ قـوة يفزع اليها عند الحاجة ، ويطمئن بوجـودها فى حياته » ٠ « ونزعة الايمان بالله قـديمة فى الانسـان منذ خلقه ، وطبيعية فى نفسه كطبيعة حياته ، غير أن هـذه النزعة قـد اختلفت من جيل الى جيل ، ومن عصر الى عصر ، ومن مكان الى مكان »[2] ، على نحو ما سنرى فيما بعـد فى الفصل الثانى ، عند حـديثنا عن (الطبيعة الانسـانية والعقيدة الدينية) ٠

فالانسان يولد فى الحياة وعنـده احسـاس عميق ـ يظـل يلازمه طيـلة حياته ـ بأن هناك (قوة عليا) تسيطر عليه ، وتدفع به وبحيـاته وحيـاة مجتمعه ـ رغما عنه ـ الى حيث تريد هى ، لا الى حيث يريد هـو ٠

ويرى المفكر الاسلامى الهندى وحيد الدين خان أن « جـذور هـذه الغريزة الانسانية هى احساس البشر بحاجتهم الى الرب الخالق ، ففكرة : (الله خالقى وأنا عبده) منقوشة فى اللاشعور الانسانى ، وهى ميثاق سرى مأخـوذ عـلى الانسان منذ يوم مولده الأول ، وهو يسرى فى كل خلية من خلايا جسمه ، وعندما يفتقد انسان ما هـذا الشعور ، يحس بفراغ عظيم »[3] ٠

وقـد ولد هـذا الاحساس العميق مع الانسان الأول ، وظـل يلازمه ـ كما سنرى فيما بعد ـ فى جحوره وكهوفه ، ثم خرج معه الى المجتمعات الحضارية

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا ، قضية الألوهية ٠٠٠ بين الفلسفة والدين ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧١ ، ص ٩٠ ٠

(٢) عبد الرزاق نوفل : الله ، والعلم الحديث ـ الناشرون العرب ـ دار الشعب ـ ١٩٧١ ، ص ١٥ ، ١٦ ٠

(٣) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان ـ ترجمة ظفر الاسلام خان ـ مراجعة وتقديم دكتور عبـد الصـبور شـاهين ـ الطبعـة الخامسة ـ المختار الاسلامى ـ ١٩٧٤ ، ص ١٥٤ ٠

الأولى ، فبنى به هـذه المجتمعات ٠٠ ولا زال هذا الاحساس يلازم الانسـان حتى اليوم ، لا يفارقه ، ولا يستطيع أن يتخلص منه ، لأنه جزء من تكوينه النفسى ٠٠ فى معامله ومصانعه ، وناطحات سحابه وسفن فضـائه ، وان ظهـر فى بعض المجتمعات المعاصرة ـ على النقيض من ذلك ٠

ولذلك يرى المرحوم عباس محمود العقاد أن الدين لم يكن « لازمة من لوازم الجماعات البشرية ، لأنه مصلحة وطنية ، أو حاجة نوعية ٠٠٠ لأن الدين قـد وجـد قبل وجـود الأوطان ، ولأن الحاجة النوعية (بيولوجية) ، تتحقق أغراضها فى كل زمن ، وتتوافر أسبابها فى كل حالة ، ولا يزال الانسان بعـد تحقق أغراضها ، وتوافر وسائلها ، فى حاجة الى الـدين »(١) ، وان « العقيـدة الدينية هى فلسفة الحياة بالنسبة الى الأمم التى تدين بها ، وأنها لا تعارض الفلسفة فى جـوهرها » ، وأنه « أيا كانت العلاقة بين موضوع الفلسفة وموضوع الدين ، فليس فى وسع فيلسوف صادق النظر ان ينسى أن الاديان قـد وجـدت بين جميع البشر ، وأنها ـ من ثم ـ حقيقة كونية ، لا يستخف بها عقـل يفقه معنى ما يراه من ظواهر هذه الحياة »(٢) ٠

والى هذا المعنى أشرنا من قبل ، عند بيـــان العـــلاقة بين (العقيدة) و (الأيديولوجيا) ، حيث أشرنا الى العلاقة بينهما وبين الفلسفة ٠

وقـد كانت هـذه العقيدة هى التى تقف وراء ما شاد الانسان من حضارات ، منذ أقـدم العصور ، فمن أجلها ـ وبسببها ـ كما سنرى فيما بعـد ـ قامت الحروب الوحشية منذ فجر التاريخ ، ومن أجلها ـ وبسببها ـ تقدمت الهندسة لبناء المعابد والأهرامات فى مصر القديمة مثلا ، ومن أجلها ـ وبسببها ـ تقدم الطب والتحنيط عند قـدماء المصريين أيضا ٠

بل « ان تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين فى جميع حركات التاريخ الكبرى ، ولا تسمح لأحـد أن يزعم أن العقيدة الدينية شىء تستطيع الجماعة أن تلغيه ، ويستطيع الفرد أن يستغنى عنه ، فى علاقته بتلك الجماعة ، أو فيما بينه وبين سريرته ، المطوية عمن حـوله ، ولو كانـوا من أقرب النـاس اليـه ٠ ويقرر لنا التاريخ أنه لم يكن قط لعامل من عـوامل الحركات الانسانية أثر أقوى وأعظم من عامل الدين ، وكل ما عـداه من العوامل المؤثرة فى حركات

---

(١) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـ دار الاسـلام بالقـاهرة ـ ١٩٧٣ ، ص ٥ ، ٦ ـ من المقدمة ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ ـ من المقـدمة ٠

الأمم ، فانما تتفاوت فيه القوة ، بمقــــدار ما بينه وبين العقيدة الدينية من المشابهة ، فى التمكن من أصالة الشعور وبواطن السريرة ٠

هــذه القوة لا تضارعها قــوة العصبية ، ولا قوة الوطنية ، ولا قوة العرف ، ولا قوة الأخلاق ، ولا قوة الشرائع والقوانين »[1] ٠

وواضح أننا لا نقصر الدين والعقيدة الدينية هنا على الأديان السماوية المعروفة أو غير المعروفة ، والتى تقوم على توجه الانسان الى (الله) ، رب الأرض والسماء ، وخالق الكون ، ومدبر الأمر كله ـ وانمــا نحن نتحــدث عن الدين ـ كما يجب أن يفهم ـ بمعناه الواسع ، على أنه تلك (المعتقدات) التى يدين بهــا فرد ، أو تدين بهــا جماعة ، والتى تفسر بها ـ وفى ضــوئها ـ ما تعلم ومالا تعلم من حقائق الكون والحياة ٠

وفى ظــل هــذه التفسيرات ، التى قــد تصــح وقــد لا تصــح ، يتحقق (التوازن النفسى) للانسان ، ومن هنا كانت العقيدة الدينية ـ كما سـبق ـ مكونا أساســيا من مكوناته ، لأن اختــلال هــذا التــوازن النفسى للانســـان ، يهــدمه هــدما ٠

ومن هنا كان ما ذهبنا اليه منذ البداية ، من أن الانسان ـ بطبيعته ـ حيوان (ذو عقيدة) ، أو أن « الانسان حيوان متدين ٠٠ أى لابد أن يجد تفسيرا لمــا يراه وما يفكر فيه ٠٠ومايخاف منه ، وما يطمئن اليه ٠ ولذلك فكل انسان له دين ، الــذى يؤمن ، والذى يكفر ، دين ســـماوى أو أرضى ، أو ســياسى أو اقتصادى »[2] ٠

وفى طفولة البشرية ، عبد الانسان كل مظاهر الطبيعة التى رآها حــوله ، فعبد الحيوان والشجر ، وعبد البحر والجبل ، وعبد الأنهار ، وعبد الملوك من بنى الانسان ، وعبد أصناما وأحجارا صنعها بيديه ٠٠٠

ولم يكن الانسان القديم ساذجا بحيث يعبد هذه الكائنات لذواتها ، وانما كان يعبدها لأن الله كان (يتجسد) فى كل منها ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصــومه ـ دار الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ ، ص ١٩ ، ٢٠ ٠

(٢) أنيس منصور : طلع البدر علينا ـ الطبعة الأولى ـ المكتب المصرى الحديث ـ ١٩٧٥ ، ص ١٣٦ ٠

وفكرة (تجسد) الله سبحانه فى مخلوق من مخلوقاته لا زالت موجـودة فى مجتمعات القرن العشرين ، رغم ما به من تقدم علمى وتكنولوجى ، بل انها قـد تسربت الى صلب العقائد الدينية ذاتها ، على نحـو ما سنرى فيما بعـد ، فى كتابنا الثانى من هـذه السلسلة عن (الله والانسان المعاصر) ٠

وكان لابد من (هاد) ، يقود القافلة البشرية فى طريق الايمان ٠٠ فكان الأنبياء والرسل ، هدية الله الى الانسان ، ويرى البعض أن عددهم يصل الى « ثلثمائة وثلاثة عشر » ، وأن « خمسة وعشرين رسـولا ، مذكورة فى القـرآن ، وهم آدم وادريس ونوح وهـود وصـالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسـف وأيوب وشـعيب وموسى وهارون وذو الكفل وداود وسليمان والياس واليسع ويونس وزكريا وعيسى ، وسيد الكائنات محمد »[١] ٠

وكان كل نبى من هؤلاء يجد صعوبة بالغة فى اقناع من أرسل اليهم بفكرة (الله) المجردة ، التى لا تتجسد فى مخلوق من مخلوقاته ٠٠ وكانت المعجـزات التى أتى بها كل نبى طريقا من طرق الهـداية ، حتى جاء الاسلام ، فكان تطور البشرية ونموها العقلى فى حد ذاته كافيا لجعلها تستوعب تلك الفكرة المجردة ، كما سنرى فيما بعـد ٠

وكانت القافلة تعود الى الهها القديم ، بعـد فترة من رسولها ، فكان رسول جـديد ، يدعو الى ما دعا اليه السابقون عليه ، وهكذا ، حتى جاء الاسلام ، خاتما لرسالات السماء ، وبه انقطع سيل الرسل ، بعـد أن تعهد الله بحفظه الى يوم تقوم الساعة ، « فكل شىء فيه لم يقع له تحريف ٠٠ وكل شىء باق منذ ١٤ قرنا »[٢] — بينما دخل التحريف كل ديانات السماء السابقة — على نحـو ما سنرى فيما بعـد ٠

العقيدة المسيحية والأيديولوجيات المعاصرة :

والحديث عن نشأة الأيديولوجيات المعاصرة وتطورها ، لا يمكن أن يتم بمعزل عن الحـديث عن أهمية العقيدة فى حياة الانسان ، وتطـور العقـائد الدينية ، فهى سلسلة متصلة ، لم — ولن — تنفصل حلقاتها ٠

---

(١) السيد أحمد الهاشمى : السعادة الأبدية ، فى الشرائع الاسـلامية — الطبعة الرابعة — دار الكتب العلمية — بـيروت ـ لبنـان — ١٩٧٣ ، ص ١١٣ — ١١٦ ٠

(٢) أنيس منصور (المرجع الأسبق) ، ص ١١٨ ٠

فالانسان — كما سبق — حيوان متدين ، أو حيوان ذو عقيدة ، وهذا الدين وتلك العقيدة هما اللذان يحفظان (توازنه) النفسى ، وبدونهما يختل ذلك التوازن ، وينهار الانسان ٠

ويتحقق ذلك (التوازن النفسى) ، الضرورى للانسان : من خلال تلك الحلول التى تقدمها العقيدة لمسائل الحيــاة ، حتى ولو كانت تلك الحلول (سلبية) ، تتمثل فى ضرورة ترك الانسان لما لا يستطيع عقله المحدود فهمه واستيعابه ، فمن « شرائط الدين اللازمة أن يريح الضمير فيما يجهله الانسان — ولابد أن يجهل — شئون الغيب وأسرار الكون ، لأنها الشئون والأسرار التى لا يحيط بها عقله المحدود ، ولا تبديها له ظواهر الزمان والمكان » (١) ٠

وفى ظل قدرة العقيدة — أو عجزها — عن تفسير الكون ، تبدلت العقائد وتغيرت ، منذ أقدم العصور ، ولا زالت تتبدل وتتغير ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠ فالعقيدة عندما تعجز عن تقديم التفسير الذى تفرضه (متغيرات العصر) ، تهون على أصحابها ، وتترك فراغا لا تسده الا عقيدة جديدة ، تقدم ذلك التفسير ٠

والمتتبع لرسالات الرسل يجد أن العمل الأول الذى كان يقوم به كل رسول ، هو أن يحدث ذلك الفراغ فى عقول الناس وقلوبهم ، بهدمه الأصنام ، أو بتحديه الاله المعبود ، دون أن يمسه بسوء ، ثم بعد ذلك يتجه الى توضيح العقيدة الجديدة ، لتستقر مكان العقيدة القديمة البالية ٠ وبهذا (الأسلوب) ، يتم (غسيل المخ) فى المجتمعات الحديثة لمن يراد تغيير عقائدهم فيهـا ٠

ولذلك ، فقد كان كفار مكة منطقيين مع أنفسهم ، حينما كانوا يحولون بين الناس وبين سماع — مجرد سماع — ما يريد الرسول أن يقوله ٠

ولعل فى قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام أوضح الدليل على ما نقول ٠

لقد هدته فطرته الصافية الى أن اله الانسان لا يمكن أن تصنعه يداه ، ولذلك بدأت مناقشته لأبيه وقومه فى قصة تلك الأصنام الآلهة :

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه (مرجع سابق) ، ص ٢١ ٠

— « واتل عليهم نبـأ ابراهيم • اذ قال لأبيه وقومه : ما تعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناما ، فنظل لها عاكفين • قال : هل يسمعونكم اذ تدعـون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ »(١) •

— « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهـة ؟ انى أراك وقومك فى ضـلال مبين »(٢) •

— « واذكر فى الكتاب ابراهيم ، انه كان صديقا نبيا • اذ قال لأبيـه : يا أبت لم تعبـد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ؟ »(٣) •

وخاض الخليـل ابراهيم رحلته المشـهورة مع النجوم والقمر والشمس •• حتى وصل الى الله ، ثم انتقل « من مرحـلة (الدعـوة الفردية) ، الى ما يمكن تسميته (بالدعوة الجماعية) ، التى يثير بهـا (الرأى العام) وينبهه ، فيحدث ما يسمى (بلغة العصر) (ثورة ثقافية) فى المجتمـع ، ومن ثم يتجـه الى الأصنام التى تجتمع حولهـا القلوب ، ليبين زيف ما تجتمـع عليـه تلك القلـوب »(٤) •

ثم تتتابع أحـداث القصة ، ويلقى به فى النار ، فيجعلها الله بردا وسلاما عليه •• فيتم فى النفوس ما أراده لهـا من فراغ ، ليصـب دعـوته بعـدها فى (أرض بكر) ، سرعان ما آتت ثمارها بعد حين باذن ربها •

وحدث ذلك الفراغ نفسه فى المجتمع الاثينى القديم ، فى عصر ديموقراطيته الفوضوية ، التى أدت به الى تحطمه أمـام دولة اسـبرطة ، فكان فـراغ ، اسـتطاع افلاطون (٤٢٧ — ٣٤٨ ق • م) أن يملأه ، بما أتى بـه من تصـور عام جديد للكون ، فى (الجمهورية) و (القوانين) ، اللذين خطط بهما لانشاء مجتمع مثالى Utopia ، يحلم الفلاسفة بتحقيقه من قديم •

---

(١) قرآن كريم : الشعراء — ٢٦ : ٦٩ — ٧٣ •

(٢) قرآن كريم : الأنعام — ٦ : ٧٤ •

(٣) قرآن كريم : مريم — ١٩ : ٤١ ، ٤٢ •

(٤) الدكتور عبد الغنى عبود : « مع الخليل ابراهيم فى يقينه » — **منبر الاسلام** — السنة ٣٢ — العدد ١٢ — ذو الحجة ١٣٩٤ — ديسمبر ١٩٧٤ ، ص ١٤١ •

وعلى هدى من أفكار أفلاطون ، ولدت الأيديولوجيات المعاصرة كلهـا فى الغرب تقريبا ، بعد ثورة الاصلاح الدينى ، التى قام بهـا مارتن لوثر سـنة ١٥١٥ ـ بعد قرابة عشرين قرنا من موت أفلاطون ، فى جو نفسى عام ، عاشت فيه المجتمعات الغربية ، شبيه بذلك الجو النفسى العام الذى ولد فكر أفلاطون وبلور مجتمعه المثالى ٠

نزلت المسيحية فى أرض فلسطين ، فى عهـد الدولة الرومانيـة ، حيث طغت المادية الرومانية على النفوس ، « وتحجرت الديانة اليهودية طقوسا جامـدة لا حياة فيهـا ، ومظاهر خاوية لا روح فيهـا » (١) ، وصـارت « شريعة جمود ورياء ، فلم يكن لها علاج أصلح من علاج الرسالة التى تقيم العلاقات بين الناس على المحبة ، لا على حروف القانون »(٢) ٠

ومن ثم كانت (الروحانية) هى جوهر المسيحية ، ومن ثم ـ أيضـا ـ قامت ـ فى جوهرها ـ على أساس (ترك ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله) ٠

وبهذه (الروحانية) ، اسـتطاعت المسيحيـة أن تغزو قلوب البؤسـاء والمستضعفين ، تعدهم وتمنيهم بجنة الآخرة ، عوضا عما يلاقونه من عذاب فى الدنيـا ٠

وبخطى ثقيلة ، سارت المسيحية ٠٠ ولكنها سـارت وانتشرت ، لا بين بنى اسرائيل ، التى نزلت لهداية (خرافهم الضالة) ، على حد تعبير السيد المسيح ٠٠٠ بل فى أنحاء الامبراطورية الرومانية الأخرى ، حيث لا يهـود ، حيث « جاء سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب سنة ٤٧٦ » ، « مصحوبا بقيام عدد من الممالك الجرمانية الجديدة ، التى أقامتها بعض شعوب البرابرة ، مما أدى الى انكماش الحضارة الرومانية تدريجيا ، من ايطاليا وأسبانيا وغاليا (فرنسـا) وانجلتـرا ، وغـيرها من البـلاد التى خضـعت للرومـان ، أيـام سطوتهم »(٣) ٠

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة دار الكتاب العربى ـ ١٩٥٢ ، ص ٦ ٠

(٢) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسـلام ـ دار الهلال ـ ١٩٧٠ ، ص ١٢٠ ٠

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشـور : المدنيـة الاسـلامية ، وأثـرها فى الحضارة الأوربية ـ الطبعة الأولى ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣ ، ص ٣٧ ٠

وكانت العقيدة الدينيـة المناسـبة لبلاد أوربا المغـلوبة ، هى العقـيدة المسيحية ، التى يرى فيها الناس جنة فى الآخرة ، تعوضهم عما يلاقونه من شقاء فى الدنيا ٠

ومما يلفت النظر ، أن البرابرة الجرمان ، قد شجعوا انتشار المسيحية ، وأن مودة « توثقت عراها بين الكنيسة والمتبربرين ، ، ، والسر فى هـذا يرجع الى أن مبادىء المسيحية حققت آمالهم ، ووجدوا فيها الراحة الخلقية التى لم يعثروا عليها فى مكان آخر »[١] . بالاضافة الى أن هذه المبادىء يسرت لهم حكم شعوب أوربا ٠

ومن ثم تطورت العلاقة بين الكنيسة والدولة فى أوربا ، فى طريق صارت فيه كل منهما دعما للاخرى ، بحيث « كان الاختلاف فى العقيـدة الدينية ، يعـد خيانة ، وكان الخروج على الدولة ، يعد كفرا »[٢] ٠

وبذلك تطورت الكنيسة الكاثوليكية فى الغرب ، فصارت « جزءا لا يتجزأ من النظام الاقطاعى ، وجعلت من نفسها منظمة سياسية واقتصادية وحربية ، لا منظمة دينية وكفى ٠ وكانت أملاكهـا (الزمنيـة) ، أى المـادية ، وحقوقها والتزاماتها الاقطاعية ، مما يجلل بالعـار كل مسيحى ، مستمسك بدينـه ، وسخرية تلوكها السنة الخارجين على الدين »[٣] ٠

ويطلق المؤرخون على الشطر الأول من القرون الوسطى (من أواخر القرن الخامس الميلادى ، الى أواخر القرن الحـادى عشر) « اسم العصـور المظلمة » ، حيث « سـادت أوربا فى تلك الفترة المظلمـة سـحابة كثيفـة من التـأخر الحضارى»[٤]، وحيث فرضت الكنيسة رقابتها الصارمة، على المدارس والجامعات، وكانت العلوم تقدم الى الطلاب من وجهة نظر الكنيسة ورجالهـا ، ولذلك كان العلم « هو بعض (الدين) ، بل هو لم يعرف طريقة فى أوربا الى غير الرهبـان والقساوسة »[٥] ٠

---

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : التربيـة فى الاسـلام (دراسـات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨ ، ص ٨٣ ٠

(2) BENIANS, SYLVIA : From Renaissance to Revolution, A Study of the Influence of Political Development of Europe; Methuen & Co. Ltd., London, 1923, P. 95.

(٣) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور الوسطى ـ دراسة تاريخيـة مقارنة (دراسـات فى التربية) ـ دار المعـارف بمصر ـ ١٩٦٢ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ٠

(٤) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (مرجع سابق) ، ص ٣٧ ٠

(٥) دكتور رءوف سلامة موسى : فى أزمة العلم والجامعات ـ دار ومطابع المستقبل ، ص ٣٤ ٠

وحدث صدام كان لابد أن يحدث بين الكنيسة ورجالها من جانب ، وبين المكتشفين والمخترعين ، الذين لا يخلو منهم زمان او مكان ، مهما اشتد الظلام من جانب آخر ـ كذلك الصدام الذى حدث بينها وبين كل من العالم الفلكى البولندى كوبرنيكس ، وعالم الفيزياء المشهور جاليليو ، بسبب اكتشاف كوبرنيكس ان « الشمس هى مركز النظام الشمسى » (١) ، وبسبب توصل جاليليو الى حقائق عامة عن الطاقة والكون ، لم تقل بها الكنيسة ، ولم يرها رجالها ، وان كانت هذه الحقائق قد ادت الى وضع « قوانين الحركة » ، اصل « جميع الاكتشافات الحديثة » (٢) ـ فقد كان من نتيجة تلك المكتشفات التى اكتشفها ، أن « أودع السجن ، فقد اتهمته الكنيسة بأن ما قاله كان خارجا عن الدين » (٣) .

وكان هناك اتصال بين اوربا المتخلفة ، والعالم الاسلامى المتحضر فى ذلك الوقت ، من خلال ما يصطلح المؤرخون على تسميته (بمعابر الحضارة) العربية الاسلامية ، الى الغرب المسيحى ، حيث « أخذت المدنية الاسلامية ، تشق طريقها الى غرب أوربا ، منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى »(٤) ، من خلال هذه المعابر الحضارية ، التى يلخصها الباحثون فى (٥) :

---

(1) SAGAN, CARL and LEONARD, JONATHAN NORTON, and the Editors of LIFE : Planets; LIFE Science Library, Time-Life International (Nederland), N.V., 1967, P. 13.

(٢) دكتور عبد الحميد احمد أمين : الطاقة الذرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ـ رقم (٦) من (الألف كتاب) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٥٦ ، ص ٣٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٤) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (مرجع سابق) ، ص ٤٩ .

(٥) يمكن الرجوع الى بعض هذه الدراسات ، على سبيل المثال ، لا الحصر ـ بشىء من التفصيل ، فى : ـ

(أ) الدكتور محمد بديع شرف : « اليقظة الفكرية والسياسية فى القرن التاسع عشر » ـ **دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة** ـ الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ـ مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٦٨ .

(ب) الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : « العلاقات بين الشرق العربى وأوربا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر » ـ **دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة** (المرجع السابق) ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

=

الشرقية والشمالية ، من طريق بحر الخزر أو عن طريق القسطنطينية » (١) .
٢ ـ الاتصالات بين الشرق والغرب عن طريق الحروب الصليبية .

١ ـ « القوافل التجارية ، التى كانت تغدو وتروح بين آسيا وأوربا

٣ ـ الاتصال بين الشرق والغرب عن طريق الأندلس ، وقد كان هذا الاتصال أخطر « هذه الاتصالات ، وأجدرها بالاعتبار ، وأبعدها من حيث النتائج والآثار » (٢) ، حيث كانت عاصمتها (قرطبة) « أعظم مدينة متحضرة فى أوربا فى القرن العاشر » (٣) ، وحيث كانت هذه المدينة وغيرها من المدن الأسبانية ، بما فيها من جامعات ومؤسسات علمية ومدارس ـ مفتوحة الأبواب لرجال الغرب وشبابه .

٤ ـ الاتصال بين الشرق والغرب ، عن طريق صقلية .

= (ج) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ١٤ ، ١٥ .

(د) عباس محمود العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوربية ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٥ ، ص ٦٦ .

(هـ) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (مرجع سابق) ، ص ٤٩ .

(و) الدومييلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى ـ نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى ـ قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى ـ جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافية ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ ١٩٦٢ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(ز) بيوت الله ، مساجد ومعابد ـ الجزء الثانى ـ كتاب الشعب ـ رقم ٧٨ ـ مطابع الشعب ـ ١٩٦٠ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(ح) ك . ر . تيلر : الكيمياء والانسان ـ ترجمة الدكتور حسن عابدين ـ مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل ـ رقم (٤٤) من (الألف كتاب) ـ دار الهلال ـ ١٩٦٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(١) عباس محمود العقاد : اثر العرب فى الحضارة الأوربية (مرجع سابق) ، ص ٦٦ .

(٢) الدومييلى (مرجع سابق) ، ٤٢٥ .

(3) FIRTH, C. B. : History, Second Series, Book Three, Pioneers In Religion and Science; Ginn and Company Ltd., London, 1949, p. 68 .

٥ - « آلاف الكتب ، التى ترجمت عن اللغة العربية الى اللاتينية »(١).

أى أن هذه المعابر تتلخص فى (اتصال الغرب المسيحى المتخلف ، بالشرق الاسلامى المتحضر) ، اتصالا تعددت طرقه وتشعبت ، وأدى إلى تطور فى النفسية الغربية المسيحية ، شبيه بذلك التطور الذى حدث فى النفسية الاغريقية القديمة فى عصر بركليز ، بعد اتصال الاغريق بحضارات العالم القديم ، فى مصر والشام وفلسطين - وشبيه بذلك التطور الذى حدث فى النفسية العربية بعد الاسلام ، واتصال العرب بحضارات العالم القديم كله ، بما فيها الحضارة الاغريقية بطبيعة الحال .

وكان من نتائج هذا الاتصال ، أن بدأ (تمرد) على الكنيسة وفكرها ، ومعتقداتها ذاتها ، بدأ فى « ظهور موجة من الالحاد والهرطقة ، ووضوح الحاجة الى ضرورة التوفيق بين مطالب الايمان ، ومطالب العقل الانسانى »(٢)، واحساس الكنيسة ورجالها - لأول مرة فى تاريخها وتاريخهم - بأن « العقيدة لا تستطيع أن تحيا مدعمة قوية ، بغير علم ومعرفة » (٣) ، ثم (اعترافها) ، - لأول مرة أيضا - بأنه « لا تعارض بين اللاهوت والفلسفة ، أو بين الحقيقة المعلنة والعقل الانسانى ، لأن الله هو خالق كل حقيقة »(٤) .

وكان ذلك منشأ (الحركة المدرسية) التى ظهرت فى الغرب ، ونبعت من داخل الكنيسة ذاتها ، على يد القديس توماس الاكوينى St. Thomas Aquinas (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م) ، والتى أخذت على عاتقها عملية (منطقة الدين) المسيحى ، أى اخضاعه للعقل والمنطق ، والتى ايدها البعض ، وعارضها البعض الآخر .

---

(١) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٤) رالف ت . فلوولنج : « الفلسفة الشخصانية » - **فلسفة القرن العشرين** - مجموعة مقالات ، فى المذاهب الفلسفية المعاصرة ، نشرها داجوبرت د. رونز - ترجمة عثمان نويه - راجعه الدكتور زكى نجيب محمود - رقم (٤٦٤) من (الألف كتاب) - مؤسسة سجل العرب - ١٩٦٣ ، ص ٣٠٣ .

والغريب أن (الخطر) تمثل للكنيسة الكاثوليكية خصوصا ، و (للنظام) عموما ـ قادما من الشرق الاسلامى ، فاتجهت الحمـلات الصليبية الى هـذا الشرق ، واستمرت قرابة قرنين من الزمان (من ١٠٩٦ ـ ١٢٩٢ م) ، فاذا بهذه الحملات لا تقضى على الشرق ، وانمـا كانت من مصـادر الخطر والثورة على الكنيسة والنظام معا ، فقـد كانت هذه الحمـلات نفسها ـ كمـا سبق ـ معبرا من معابر الحضارة الاسلامية الى الغرب ٠

كان هناك (فراغ) عقائدى ، كان لابد من سده ـ كما سبق ، فلم تعـد المسيحية ، بقيمها الروحية ، قادرة على سد ذلك الفراغ ، فكان لابد من تطوير العقيدة ذاتها ، لتلائم تلك (المتغيرات) ٠

ولكن حجم (التطوير) ، كان أقل من حجم تلك (المتغيرات) ، ومن ثم استمرت (الفجوة) ، بل زادت هذه الفجوة اتساعا ٠

ولم تكن هذه (الفجوة) ليسدها احراق العلماء ، ولا اعلان الحرب على العالم الاسلامى ٠

وانما كان سدها ممكنا باحداث مزيد من التطوير ٠

وهـذا ما تصـدى له مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣ ـ ١٥٤٠) ـ القسيس الألمانى ، صاحب حركة الاصلاح البروتستانتى ـ ومن نهج نهجـه ، مثل زونجلى Zwingli (١٤٨٤ ـ ١٥٣١) وكالفن Calvin (١٥٠٩ـ١٥٦٤) ، ممن احدثوا ذلك التطوير فى (صلب) العقيدة المسيحية ، لا فى شكلياتها ، حتى يتمكنوا من (سد) تلك الثغرة .

ويقال : « ان حركة الاصلاح الدينى التى قام بها (مارتن لوثر) ، تأثرت بمبادىء الاسـلام ، فى مثل أبطال الكهنوتية ، وتحريم صكوك الغفران » [١] ، « فقد كانت ـ على علاتها ـ أبرز مظهر للتأثر بالاسلام أو ببعض عقائده ، كما اعترف المؤرخون »[٢] ٠

---

(١) الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشـاطىء) : القرآن وقضـايا الانسان ـ الطبعة الأولى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٢ ، ص ١٠٥ ٠

(٢) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ الطبعـة العاشرة ـ مطابع على بن على ـ الدوحة ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ، ص ١٣٩ ٠

وكانت هذه الحركة أول الأمر (احتجاجا) على بيع صكوك الغفران ، ومن هذا الاحتجاج جاء اسمها (البروتستانت) ، وعندما « أعلن البابا حرمانه من رحمة الكنيسة ، بحيث أصبح من واجب السلطة الزمنية طبقا للتقاليد القديمة (أن تنقله من نار الدنيا ، الى نار الآخرة) ، حتى لا يتبين أن هذا الراهب الوضيع ، أقوى نفوذا من البابوية والامبراطورية معا »[١] ــ تحولت مشكلة لوثر ، من بحث مشكلة الغفران وحدها ، « الى بحث العقائد على اطلاقها » ، « فى مجلدات ثلاثة تعرف باسم (رسائل الاصلاح Reformation Tracts. »[٢]

ولا يستبعد أن يكون مارتن لوثر قد قرأ ــ فى بحثه المشكلة ــ عن الاسلام أو عرف جوهر تعاليمه ، خاصة وأن الاسلام فى وقته كان ظاهرة حضارية ، ولم يكن ــ كما هو اليوم ــ خطأ ــ فى نظر الغربيين ــ ومن هنا كان تأثره به .

ووقعت حروب دامية ، كان لابد أن تقع ، بين البروتستانتية والكاثوليكية ، اكتسحت فيها البروتستانتية بعض البلاد ، ورسخت أقدام الكاثوليكية فى بعضها الآخر ، وشطرت الحرب بلادا ، لعل أوضحها اليوم ذلك الصراع الدائر بين ايرلندا الشمالية (الكاثوليكية) ، وانجلترا (البروتستانتية) .

وعاشت بلاد أوربا هذا الصراع طيلة ثلاثة قرون من الزمان ، من القرن السادس عشر (سنة ١٥١٥) ، وحتى القرن التاسع عشر ــ قبل أن تستقر أحوالها فى مطلع القرن العشرين .

ويجمع الدارسون على أن حركة الاصلاح الدينى فى الغرب ، هى التى أدت الى ما تم فى أوربا من تغيرات ، سياسية واجتماعية واقتصادية ، فقد « انتشرت روح الاصلاح فى كل مكان . لقد وجدت روح جديدة فى السياسة وفى المجتمع ، وفى العلم والفلسفة والدين ، وفى الأدب والفن ، أو على حد تعبير الأستاذ جب Gibb : (ان الاصلاح فى أوسع تعريفاته ، هو عملية تطور ، أو نقل لأوربا ، من النظام المتأخر ، الى النظام الحديث) »[٣] .

---

(١) محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة ، من عهد النهضة الأوربية ، الى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون ــ وزارة المعارف العمومية ــ المطبعة الأميرية ببولاق ــ ١٩٣٤ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(3) HUDSON, WILLIAM HENRY : The Story of the Renaissance; George G. Harrap & Company Ltd., London, 1928, P. 3.

وكان أهم تغير تم فى نظره ، هو « التغير الأساسى فى اتجاه الناس ، نحو أنفسهم ، ونحو عالمهم الذى يعيشون فيه »(١) .

ويعقد أوليخ Ulich لنا مقارنة شيقة ولطيفة ، بين عالم العصور الوسطى ، وعالم الاصلاح ، يرى فيها عالم العصور الوسطى « عالما استاتيكيا جامدا ، وبظهور الاصلاح ، أصبحت الحياة ديناميكية ، وأصبحت سعيا وعملا » . « والعلم والثروة والتكنولوجيا ، هى فضلا عن أنها أسباب ، انما هى نتائج مباشرة لهذه الحقيقة »(٢) .

وفى هذه القرون الثلاثة القلقة ، التى تلت ثورة الاصلاح الدينى فى أوربا ، ظهرت (فلسفات) ، كانت هى الأساس الذى قامت عليه الأيديولوجيات المعاصرة ، فقد ظهرت الفلسفة المثالية ، والفلسفة الواقعية ، والفلسفة الطبيعية ، والفلسفة التجريبية ، والفلسفة البراجماسية ، والفلسفة المادية الجدلية ، كل منها « تقدم لنا نظرية للمعرفة ، ونظرية للكون ، ونظرية للأخلاق ، ونظرية للطبيعة الانسانية ، يترتب عليها جميعا فى الميدان التربوى نظرية معينة للتعلم ، ونظرية للطبيعة الانسانية ، ونظرية معينة للتربية الخلقية »(٣) ، وهكذا .

ويلخص الدكتور سعيد اسماعيل هذه الفلسفات ، فى معرض تقديمه للحديث عن (ديمقراطية التربية الاسلامية) — فى فلسفتين اثنتين ، أو بعبارة أصح ، فى أيديولوجيتين اثنتين ، أولاهما هى الفلسفة أو الأيديولوجيا الليبرالية ، وتضم كل الفلسفات السابق الاشارة اليها ، فيما عدا الفلسفة المادية الجدلية ، والثانية هى الفلسفة أو الأيديولوجيا المادية الجدلية .

وهو يرى أن الفلسفة — أو الأيديولوجيا — الليبرالية ، قد اعتمدت على بديهيتين : « احداهما يمكن تسميتها (المذهب الفردى) » ، « والثانية يمثلها مبدأ كانط » . وعندما « ظهرت بوادر اليأس من نجاح الديمقراطية فى صورتها القديمة » ، « كان ماركس ممن واجه المجتمع الغربى والنظام الديمقراطى بنظرة مختلفة ، فكان فى مقدمة النتائج التى وصل اليها أن المعضلة

---

(1) Ibid., p. 3.

(2) ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961, p. 45.

(٣) الدكتور محمد لبيب النجيحى : فى الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ٩ .

ليست فى لبها وصميمها سياسية ، ولكنها معضلة اقتصادية . ولم يتردد فى الجهر بأن النظام الاقتصادى هو الأساس ، الذى يترتب عليه كل ما عداه من نظم سياسية ، ومن أخلاق وعقائد »[1] .

وباختصار ، فان الأيديولوجيات المعاصرة كلها ظهرت فى الغرب ؛ لتسد ذلك (الفراغ) الدينى أو العقائدى ، الذى نتج عن (الشك) فى العقيدة المسيحية ، اما نتيجة للنزعة الروحية التى تتسم بها ، واما نتيجة لانحراف الكنيسة الكاثوليكية ورجالها عن جوهر تعاليم المسيحية فى العصور الوسطى ؛ واما للأمرين معا .

ولم يكن غريبا أن يكون كثير من كبار الملحدين ، فى الغرب الرأسمالى ، وفى الشرق الشيوعى ، على السواء ، قد كانوا متدينين فى طفولتهم ، ولكنهم لم يجدوا فى ايمانهم المسيحى ؛ التفسير الكامل الذى ينشدونه ، للكون والحياة .

ففى الغرب الرأسمالى ، نجد برتراند رسل ، الفيلسوف الانجليزى الشهير ، وفردريك انجلز ، شريك كفاح كارل ماركس فى بلورة الفكرة الشيوعية الحديثة [2] .

وغير رسل وانجلز فى الغرب اليوم كثيرون وكثيرون ، من الماديين الملحدين .

ولم تظهر أيديولوجيا من هذه الأيديولوجيات فى الشرق الاسلامى ، حتى فى أحلك عهوده ، فقد كان فى (الاسلام) — رغم كل الظروف — التفسير الذى يرضى به المسلمون ... للكون والحياة .

وكانت هذه الأيديولوجيات (الالحادية) تقترب من الدين ، أو تبتعد عنه ، أو تعلن الحرب عليه ، ولكنها — على أية حال — كانت قد سدت ذلك (الفراغ العقائدى) فترة من الوقت ، وسوف نتعرض لها بالتفصيل ، عند الحديث عن (افلاس الأيديولوجيات المعاصرة) ، فى الفصل الرابع .

---

(١) دكتور سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية — دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٧٤ ، ص ٧ — ٩ .

(٢) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى (مرجع سابق) ، ص ٦٥٣ — ١٥٥ .

الفصل الثاني

الطبيعة الانسانية ... والعقيدة الدينية

الطبيعة الانسانية(١) :

الانسان – من الناحية البيولوجية – حيوان ، بمعنى أن جسمه – كجسم الحيوان – يتكون من العديد من الآلات والأجهزة والأنسجة المعقدة ، التى يستطيع بها أن يحافظ على حياته ، عن طريق الطعام والشراب وأوكسجين الهواء ، التى تمر فى جسده بالعديد من العمليات الكيميائية المعقدة ، التى تتحول بها الى دم ، يكون بمثابة (الطاقة) ، التى تمكنه من أن يقوم بوظائفه وألوان نشاطه المختلفة .

وعندما يعجز جسم الانسان عن القيام بهذه العمليات المعقدة ، بتعطل جهاز من أجهزته المعقدة هذه .. تتوقف الحياة الانسانية .

والى هذا الحد لا يختلف الانسان عن الحيوان – اى حيوان ، فى قليل أو كثير ، بل ان الحيوان يفضل الانسان فى بعض الحالات ، فليست أظافر الانسان مثلا قاطعة ، كما هى أظافر ومخالب الأسد أو النمر أو الذئب أو الضبع ، وليست أسنانه حادة ، وأنيابه قاطعة ، وأضراسه صلبة ، كما هى أسنانها وأنيابها وأضراسها ، وليست معدته كمعداتها . وليست لدى جلده قدرة على التلون – للتنكر – كما هو الحال فى الحرباء أو الضفادع أو السمك مثلا ... وهكذا (٢) .

فالانسان – فى مسألة القدرة على مواجهة الأخطار – قد يكون – بيولوجيا – أضعف من كثير من الحيوانات ، والحشرات والهوام .

---

(١) سوف نتحدث عن (الطبيعة الانسانية) بشىء من التفصيل ، عند حديثنا عن (الانسان) ، فى الكتاب الرابع من كتب السلسلة – ولذلك نكتفى هنا بالايجاز ، بالقدر الذى يوضح لنا العقيدة الدينية ، ومدى اتفاقها مع الطبيعة الإنسانية .

(٢) للتفصيل – ارجع الى :

– عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث – الناشرون العرب – دار الشعب – ١٩٧٣ ، ص ٦٠ – ٧١ .

ومن ثم لم تكن الناحية البيولوجية فيه مكمن قوة ، بقدر ما كانت نقطة ضعف ٠

وبالاضافة الى هذه الآلات المعقدة ، التى يتكون منها جسم الانسان ، والتى تحول الطعام والشراب والأوكسجين الى طاقة ، زود الله سبحانه جسم الانسان ، بحواس تصله بالعالم الخارجى ، وتربطه به ، وتيسر له سبل الاتصال به ، والتعامل معه ، بشكل يحفظ عليه كيانه البيولوجى من نـواح مختلفة ، ويحقق أهداف الانسان الأخرى فى الحياة ٠

ويتفق الانسان مع الحيوان فى هذه الحواس أيضا ، بل ان الحيـوان يفوق الانسان ، فى كفاءة بعض الحواس ، فليس للانسان مثلا ، ذلك (الرادار) العجيب ، الذى يحفظ به الخفاش حياته ، وليس له أنف حساس حساسية أنف الذئب ، أو عين حساسة ثاقبة كعين الصقر ٠٠٠ وهكذا ٠

بيد أن الله قد عوض الانسان عن ضعفه هذا كله ، بذلك الجهاز العجيب ، المسمى (بالعقل) ٠

والعقل الانسانى ، هو الذى يعوض الانسان عن كل (نقص) أو (عجز) فى تكوينه البيولوجى ، أو فى قدراته الجسية ، فهو به قادر على أن (يخترع) من الوسائل والأساليب ، ما يحيل بها ضعفه قوة ، بحيث يظل على هـذه الأرض سيدها المقتدر ، وتظل الأرض مملكته الطيعة ، يتصرف فيها كيفمـا شاء بأمر ربه ، وبقدرته على التفكير والكشف والاختراع ٠

ويعتبر العقل الانسانى ــ ومقره المخ ــ هو همزة الوصل بين جســـم الانسان ، والعالم الخارجى المحيط به ، فهو يتلقى ــ عن طريق الأعصاب التى تربطه بكل أجزاء جسمه ــ الاشارات المستمرة ، التى تزوده (بالتقارير) عن (سير العمل) فى الجسم ، وبناء عليها (يصدر أوامره) الى الانســـــان (بالتصرف) ، الذى يزيل به الخطر ، ويعيد الى الجسم (توازنه) ، والى الحياة فيه استمرارها ٠

فاذا خلت المعدة من الطعام ، أرسلت اشاراتها الى المخ ، فظل الانســـان فى توتر ، حتى يتحرك الانسان لملء تلك المعدة ، وبذلك يزول التــوتر ، واذا أصاب خلل أى جزء من أجزاء الجسم ، أرسل ذلك الجزء اشاراته الى المخ ، وظل يرسلها حتى يتحرك الانسان لاصلاح ذلك الخلل ، وهكذا ٠

كذلك يتلقى العقل — عن طريق الحواس التى تصله بالعالم الخارجى — صورة ذلك العالم ، ليكيفه ويستغله لاشباع حاجاته المختلفة ، البيولوجية وغير البيولوجية ٠

ويتصل بالعقل — كذلك — ذلك الجزء العجيب ، الذى يعد مسئولا عن (تخزين) المعلومات ، التى سبق أن مرت بالانسان فى حياته ، سواء بالرؤية أو بالسماع ، أو بأية وسيلة من وسائل الاحساس ، كالتذوق أو الشم أو غيرها ٠

ويتصل به — كذلك — ذلك الجزء الخاص بالاحساس والشعور ، وذلك الجزء الخاص باللاشعور ، حيث تختزن المعلومات التى يرغب الانسان فى التخلص منها ، ولكنها تبقى فى لاشعوره ، توجه حياته دون أن يحس ٠

وقد يكون هذا اللاشعور أقوى أثرا فى توجيه الحياة الانسانية من الشعور ، كما يذهب الى ذلك فرويد ومدرسته ٠

والشخصية الانسانية Human Character ليست الا محصلة هذا الانسان كله : محصلة جسده بما فيه من أجهزة وأدوات ، ومحصلته بما فيه من حواس ، ومحصلته بمابه من عقل ، وبما يتكون منه هذا العقل من اجزاء مختلفة التكوين ، مختلفة الوظائف ٠

وهذه الشخصية الانسانية متفاعلة أجزاؤها ، بحيث يصعب الفصل بين كل منها والآخر ، فالانسان الجائع مثلا ، تكون قدرته على استخدام حواسه اقل منها لو كان شبعان ، وكذلك تكون قدرته على التفكير ، والانسان المضطرب انفعاليا ، يفقد شهيته للطعام ، وتقل فاعلية حواسه ، ويضطرب تفكيره ، وهكذا ٠

وتأتى مسألة العقيدة ، الدينية وغير الدينية ، على الأغلب ، فى منطقة اللاشعور هذه ، على نحو ما سنرى فيما بعد ، فى هذا الفصل ٠

ولذلك قيل — فيما قيل عن الانسان — كما رأينا فى الفصل الأول [1] — ان الانسان حيوان وهب الوعى والعقل ٠ وما يقربه من الحيوان،انما هو اشتراكه معه ، فى الحاجات البيولوجية ، والدفعة الحيوية القاهرة ، التى كثيرا ما تأخذ

---

(١) ارجع الى ص ٢٤ — ٣٦ من الكتاب ٠

مظهر صراع وتناقس حقيقى ، لحفظ الحياة وبقـــاء النــوع » ، وأن « وعى الانسان لا يشمل حاجاته الفيزيولوجية وحدها ، بل ينبســـط الى ما وراء ذاته فى الزمان والمكان • ذلك أن الانسان حيوان ميتافيزيقى أيضـا ، انه طلعة وقلق ، ومتى تم له أن يعى ذاته ، لم يستطع أن يمنع نفســـه من التساؤل عن معنى وجوده ووجود العالم • وهكذا استشعر بغريزته وجـود قوة أعلى ، هى التى خلقت العالم ، وهى التى تقوده الى مصير خفى » [1] •

كما قيل — لذلك — أيضا — ان « الدين مطلب لغريزة أصيلة من غرائز الانسان ، لا يسع المرء أن يتجاهلها ، الا اذا كان فى وسعه أن يتجاهل غريزة الخوف من الخطر ، والحرص على الحياة ، أو غريزة طلب الطعام للشـــبع من جوع ، وطلب الماء للرى من ظمأ •

والدين — أى دين — هو لهذه الغريزة فى بناء الانسان رى من ظمأ ، وشبع من جوع ، ونعنى بها غريزة حب الخضوع ، التى تقابل فى النفس الانسانية غريزة حب التسلط ، فكما أن الانسان يسعده أن يتسلط على غيره ، يســـعده كذلك فى كثير من الأحيان أن يخضع لغيره ، ممن له عليه ســــلطان ، أى سلطان »[2] •

الانســـــان بين القديم والحديث :

والانسان الحديث ، انسان القرن العشرين ، الذى اقتحم مجاهل الفضاء ، اقتحامه لأعماق الأرض وأغوار النفس ، هو هو نفسه ذلك الانســان البدائى الأول ، الذى كان « يأكل اللحوم النيئة ، ويسكن الكهوف والجحور » [3] ، سواء من حيث تكوينه البيولوجى ، وتركيبه العصبى ، وامكانياته العقليــة والنفسية •

---

(١) الدكتور أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق — نقلة عن الفرنسية : الدكتور عثمان أمين — دار الشروق — ١٩٧٥ ، ص ٣٧ •

(٢) الشيخ أحمد حسن الباقورى : « الدين أصل فى الفطرة الانسانية » — منار الاسلام — تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات العربية المتحدة — العدد الأول — محرم ١٣٩٦ هـ — يناير ١٩٧٦ م ، ص ٢٩ •

(٣) الدكتور هارى نيكولز هولمز : قصة الكيمياء ، من خلال أنبوبة الاختبار — ترجمة الدكتور الفونس رياض ، والدكتور عبدالعظيم عباس — مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل — رقم (٢٨٤) من (الألف كتاب) — مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ص ٢٣ •

بل ان الانسان يستطيع أن يجزم ، بأن الانسان البدائى ، كان أقوى فى هذه الجوانب كلها من الانسان الحديث .

كان الانسان الأول يعتمد على عضلاته ، وعلى أعضاء جسمه المختلفة ، وحواسه ، مباشرة ، وصار الانسان الحديث يعتمد على الآلـة ، فضـمرت عضلاته ، وصارت أضعف من عضلات الانسان الأول ، وكذلك صارت أعضاء جسمه وحواسه .

وكان الانسان الأول يعيش فى بيئة صافية ، وصار الانسان الحديث يعيش فى بيئة ملوثة(١) ، ولولا تقدم الطب وتقدم الدواء ، لكانت المأساة .

وكان الانسان الأول يخلق ويخترع ، دون رصيد يذكر من علم ومعـرفة سابقة ، وصار الانسان الحديث يكتشف ويخترع أيضا ، بعقول السابقين والمعاصرين ، وبامكانيات بحثية ضخمة .

وكان الانسان الأول يعيش حياة كلها قلق وصراع ، وانعـدام للأمن على الحاضر والمستقبل ، ومع ذلك كان (يتكيف) مع هذا العالم ، وصـار الانسان الحديث يعيش حياة فيها الاستقرار والأمن ، على حاضره ومستقبله ، ومع ذلك لا يستطيع (التكيف) ، فما أكثر الأمراض النفسية والعقليـة .. فى عالمنا المعاصر ، وما أسرع نسبة التزايد فيها .

ولا شك فى أن الانسان الأول ، كان أسلم فطرة،وأكثر ايمانا بالعقيدة،وبهذا الايمان العقائدى كان يستطيع أن يحتفظ بتوازنه النفسى ، رغم شـــدة الضغوط عليه ... بينما الانسان الحديث قد فسدت فطرته ، وضـعف ايمانه بالعقيدة ، بعد أن اضطربت أمامه كل القيم ، نتيجة لصراع المذاهب ، وسيطرة المادية عموما على النفس ، واغترار الانسان عموما بعقـله .. وليس الانسان ـ كما رأينا من قبل ـ عقلا خالصا ، وليس عقله بالمعجـزة الخارقة ، القادرة على حل كل مشكلاته .

---

(١) صار تلوث البيئة ، من المشكلات الحيوية ، التى تواجه العالم فى العصر الحديث ، وحوله تبذل جهود ، وتجرى بحوث ، فى مختلف بلاد العالم ، خاصة فى البلاد المتقدمة ، التى تعانى من هذه المشكلة ، أكثر من غيرها ، والتى تتوفر لديها امكانيات أكثر ، لبحثها .

فالانسان الحديث لا يفضل الانسان القديم ، بل لعل الانسان القديم هو الذى يفضل الانسان الحديث ، رغم ان الامكانيات أمام الانسان الجديث اكثر ، الا أن بعده عن (الفطرة) التى فطر عليها ، هو الذى يفسد عليه كل شيء ، ولو عاد الى هذه الفطرة ، لكان ـ بحق ـ كما أراد له ربه ـ خليفة الله فى الأرض ، ولكانت حياته ـ كآخرته ـ جنة(١) ، ولأحس بالسعادة المطلقة فى جنة الدنيا ، ولما عاش فى هذه الجنة الدنيوية ـ كما تبدو للعيون ـ شقيا تعيسا ، يصطلى ـ نفسيا وروحيا ـ بنارها ، ولا يستمتع بشيء من خيراتها ٠

نشـأة العقيدة الدينية وتطورها :

رأينا فى الفصل الأول ، أن الانسان بطبيعته (حيوان ذو عقيدة) ، أو أنه ـ بطبيعته ـ (حيوان متدين)(٢) ٠ كما رأينا فيما سبق من هذا الفصل أن هذه العقيدة الدينية أمر يتصل بتكوين الانسان النفسى والعقلى ، وأنها ليست شيئا مستقلا ، بعيدا عن هـذا التكوين ٠

ومن هنا ، كان بحث الانسان عن (اله) يعبده ، ويكل اليه أمر مالا يعلم من أسرار هذا الكون ، ويعزو اليه الفشل فيما فشل فى تحقيقه ، بقوله : هذه ارادة الله (٣) ـ وكان هذا (الاله) ضرورة عملية ، اضطر الانسان منذ أقدم عصوره اليها ، ليحفظ (توازنه) النفسى ، والا اختل هذا التوازن ، وتحطم الكيان الانسانى تحطما ٠

وفى هذه المسألة بالذات ، كان الانسان القديم ، أو الانسان البدائى ـ كما يحلو للبعض أن يسميه ـ أذكى وأعقل من الانسان الغربى الحديث ، الذى يعتبر نفسه ـ بتقدمه العلمى والتكنولوجى ـ قد (عرف كل شيء) ، فاغتر بعقله ،وجعل هـذا العقل (الهه) ٠٠ فاختل توازنه ، وأصبح عرضة لكل

---

(١) كان البحث عن جنة الدنيا Utopia هذه مدار بحث الفلاسفة ، ابتداء من أفلاطون ، وانتهاء بكارل ماركس ، ولكن كلا منهما ـ ومن غيرهما من الفلاسفة ـ ضل السبيل اليها ، كما سنرى عند الحديث عن (افلاس الأيديولوجيات المعاصرة) فيما بعد ٠

(٢) ارجع الى ص ٢٤ ـ ٢٦ من الكتاب ٠

(٣) لازال كثير منا يقول هذه العبارة الى الآن ، رغم أنها ليست من الدين ولا من العقل على السواء ، لأن الله لا يريد بالناس الا الخير وحده ٠

العقد النفسية والأمراض العقلية ، وزادت نسبة الانتحار بين أبنائه بشـــكل لافت للنظر ٠٠ فى الوقت الذى نجد فيه كل ما فى حياة الغرب يدعو إلى التمسك بالحياة ، لا الى التخلص من هذه الحياة(١) ٠

وقد صاحبت العقيدة الدينية الانسان منذ نشأته على هذه الأرض ، ووقفت وراء ما شاد من حضارات ، وما بنى من فكر ، وما عمر من أرض ، ولم يفقد بها ـ يوما ـ الامل فى المستقبل ، رغم ضغوط الحياة عليه ، التى لو مثلت أمام الانسان المعاصر ، لكانت نسبة الانتحار بين أبنائه أكثر بكثير ، مما هى عليه فى المجتمعات الغربية اليوم ٠

وتكاد الدراســـات تتفق على أن الانسان موجود على هـذه الأرض منـذ ما يقرب من مليون سنة(٢) ، وانه عاش حياة بدائية الشطر الاكبر من حياته ، فهو لم يترك الحياة البدائية ، ويدخل التاريخ المدون ، الا منذ ستة آلاف سنة فقط ، على أحسن الفروض ، وكانت أولى خطواته على طريق الحضارة هى اكتشافه للنار ، بالمصادفة فى الغالب ، حيث « أحس بقوتها وبأسها ، فخاف منها بادىء الأمر ، وتملكه الذعر والفزع ، ولكنه ما لبث أن ســـيطر عليها والبسها اللجام ، فاستغلها لتمده بالحرارة والدفء »(٣) ، ثم كان لهـا ـ بعد ذلك ـ فى حياته « دور هام على مر العصور ، منذ العصر البرونزى ، والعصر الحديدى ، ثم العصر الآلى »(٤) ٠

وكانت النار هى التى نادت الانسان من ثورة الى ثورة ، فبها خاض غمار أول ثورة فى حياته ، وهى (الثورة الزراعية)(٥) ، حيث ترك سكنى الكهـوف والجحور ، وترك الحياة الانعزالية الانفرادية ، ليجرب حياة الجماعة ، فى

---

(١) لنا عود الى هذا الموضوع مرة ثانية فى الفصل الختامى من الكتاب ٠
(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور القديمة ـ دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١ ، ص ٤٥ ٠
(٣) دكتور حسن حسنى أبو السعود : « النظائر المشعة فى خدمة الصناعة » ـ **الذرة فى خدمة السلام** ـ مجموعة المحاضرات التى القيت بالمؤتمر السنوى السادس والعشرين ، للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، الذى عقد فى المدة من ٣١ مارس الى ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ ـ رقم (٢٧) من (الألف كتاب) ـ مكتبة مصر ، ص ١٨٦ ٠
(٤) الدكتور هارى نيكولز هولمز (مرجع سابق) ، ص ٢٣ ٠
(5) LEOPOLD, A. STRAKER and the Editors of LIFE : The Desert; LIFE Nature Library, Time-Life International (Nederland), N.V., 1963, p. 16.

مجتمع القرية ، وليزرع زراعة منظمة منتظمة ، يضمن بها « احلال انتاج للطعام بطريقة دائمة ومنتظمة ،محل جمع الطعام من هنا وهناك »(١) ، ومن ثم كانت تساوى فى أهميتها ، « أهمية الثورة الصناعية ، على أقل تقدير »(٢) .

ومن الثورة الزراعية ، التى خاضها الانسان فى مجتمع القرية ، خاض الانسان ـ ثورته الثانية ، وهى (الثورة الصناعية) ، فى المدينة ، التى يرجح أن تكون (المدنية) ، بمعنى الحضارة ، تنتسب اليها ، حيث يلاحظ أن هذه الثورة الثانية قامت حيث قامت الثورة الأولى ، على ضفاف الأنهار ، فعلى تلك الشواطىء ، ولدت الحضارات « الهندوكية والصينية والفارسية ، والفينيقية والمصرية القديمة واليونانية والرومانية وغيرها » ، « فى آسيا وشرقى حوض البحر الأبيض المتوسط »(٣) .

وتؤكد الدراسات المختلفة ، أن العقيدة الدينية كانت تقف وراء كل حضارة من هذه الحضارات ، ووراء ما توصلت اليه من مكتشفات مادية ، ومن علوم ومعارف ، ومن طرق وأساليب ، ومن نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية ، ومن ثم اختلفت هذه العقائد الدينية من حضارة الى أخرى ، ومن مجتمع قديم الى آخر ، باختلاف البيئة ، وظروف الحياة فيها ، وما تفرضه هذه الظروف من فهم معين للكون والحياة ، ولذلك كان العلم الذى توصلت اليه كل حضارة من هذه الحضارات القديمة جزءا من (العقيدة الدينية) ، التى يؤمن بها أبناء المجتمع ، « ومن هنا اختلط العلم بالدين ، واصطبغ بلون من الغموض والسحر والتصوف »(٤) ،كما أن الفلسفة ذاتها ، وهى ـ بطبيعتها ـ عمل عقلى خالص ، اختلفت من مجتمع الى آخر ، فكانت هناك فلسفات ، هى تلك « التى انطوت عليها دياناتها » ، و « لم تكن فلسفات بالمعنى الفلسفى الدقيق ، مما كان يتصل من قريب أو من بعيد ، بالدين والعقائد »(٥) .

---

(١) كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين ـ ترجمة عثمان نويه ـ تقديم صلاح دسوقى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٢ ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان ـ مكتبة نهضة مصر ، ص ز ـ من المقدمة .

(٤) الدكتور عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة البيان العربى ـ ١٩٦٦ ، ص ٦١ .

(٥) رينيه ديكارت : مقال عن المنهج ـ ترجمة محمود محمد الخضيرى ـ الطبعة الثانية ـ راجعها وقدم لها الدكتور محمد مصطفى حلمى ـ من (روائع الفكر الانسانى) ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ ١٩٦٨ ، ص ٣، ٤ ـ من التقديم ، للدكتور محمد مصطفى حلمى .

ففى **الصين القديمة** ، حيث الانزواء - جغرافيا - فى ركن من أركان المعمورة ، وحيث قسوة الجو ، وتطرفه بين الحرارة والبرودة ، يكون (التماسك) الأسرى هو (الاطار) العام الذى تدور فيه العقيدة الدينية ، فالولاء للأسرة يعتبر « أبرز الظواهر التى يتسم بها تكوين الصين السياسى »(١) .

ومن ثم كان جوهر الديانات الثلاث التى انتشرت فيها ، وهى الكونفوشيوسية ، والتاوية ، والبوذية ، يدور حول تحقيق « الحياة السعيدة على الارض ، بيسر ، ودون تعقيد » ، وينظر « بعين الاعتبار ، الى حياة الانسان الدنيوية » .(٢) ، فى اطار هذا الولاء للأسرة بطبيعة الحال ، وان كان مفهوم الأسرة يتسع ليشمل الأسرة الصغرى والأسرة الكبرى (الدولة) على السواء ، وان كانت الكونفوشيوسية ، تركز على الخلق ، والولاء للأسرة ، سبيلا الى السعادة فى هذه الدنيا ، بينما تركز التاوية على تحقيق الانسجام بين الجسم والروح ، وبين الانسان والطبيعة ، وتركز البوذية على (خلاص النفوس) .

أما **الهند القديمة** ، فان وضعها الجغرافى خير من وضع الصين ، وذلك بحكم قربها من مراكز التجمع السكانى ، وبسبب الوفرة فى خيرات أرضها ، مما أطمع فيها الطامعين منذ أقدم العصور .

وبالاضافة الى ذلك ، كان تنوع أرض الهند ، بين السهل والجبل ، وبين الصحراء والأرض الزراعية ، مما حال دون قيام حكومة مركزية قوية ، وسهل الطريق أمام (حكام محليين) ، فرضوا أنفسهم عليها ، يقتطعون لأنفسهم الأرض ويستغلونها بمن عليها .

وهكذا عاش شعب الهند من قديم بين نيرين : نير الظلم الداخلى ، والتهديد الخارجى .

---

(١) ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - مراجعة أحمد خاكى - من الفكر السياسى والاشتراكى - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والارشاد القومى - الادارة العامة للثقافة - دار المعارف بمصر - ١٩٦٢ ، ص ٧٠ .

(٢) دكتور سعد مرسى احمد ، ودكتور سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم - عالم الكتب - ١٩٧٢ ، ص ٥٥٧ .

ومن ثم كانت العقيدة الدينية عميقة فى الهند من قديم ، وكان لكل اقليم الهه ، بل آلهته ، حتى لقد أطلق على الهند أسم « أرض الآلهة » (١) ، وكان محور هذه العقيدة الدينية — على تنوعها وتعددها — هو الزهد والتعفف والبعد عن ملذات هذه الحياة الدنيا .

وكان بوذا ، مؤسس الديانة البوذية ، التى ظهرت فى القرن السادس قبل الميلاد ، وانتشرت فى الهند بشكل واسع ، « يؤمن أن مصدر الشقاء البشرى ، ما يثيره الهوى المتولد من الشهوات الجسمانية ، ولا خلاص للفرد من هذا السجن المطبق الا التلاشى المادى ، الذى لا يتحقق الا بالزهد والتعفف عماقالحياة من ملذات وشهوات »(٢) ، وكان يرى أن الانتصار على شهوات الجسد يعد قمة (النرفانا) ، أى السعادة الأبدية .

أما **مصر القديمة** ، فانها على العكس من الصين والهند ، تتوسط العالم ، وتمتاز باعتدال جوها ، وبوفرة خيراتها ، وبأن أرضها مما يمكن من قيام (حكومة مركزية) ، تسيطر على كل البلاد ، وتحمى أهلها من الطامعين فيها .

وفى مثل هذا الجو القلق ، الناتج عن العدوان ، أو الخوف منه ، والناتج عن انتظار ما تجود به الأرض من خير ، أو ما يأتى به النيل من خير أو شر — كان لابد من اله ، يشد الأزر ، ويأتى بالرزق والخير ، ويرد الخطر ، ويعين على النائبات .

ولذلك انتشرت فى مصر القديمة عبادة الحيوانات ، كالتماسيح والأسود والعجول والكباش ، وكذلك عبادة الأشجار ، كالجميز والنخيل .

وكان المصريون يرون أن « الحيوانات التى عبدوها ، قد حلت فيها أرواح الآلهة ، التى كان عليها أن تسكن جسدا تتجسد فيه ، عند هبوطها الى الأرض » (٣) .

وقد تطورت عبادة المصريين القديمة الى عبادة الملك (الفرعون) ذاته بوصفه حامى البلاد ، وموفر الخير لها ، عن طريق حكومته المركزية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

وكانت هذه العقائد الدينية فى هذه المجتمعات الثلاثة ، وفى غيرها من المجتمعات القديمة ، هى التى تقف وراء ما حققه كل منها من حضارة رائعة ، بسبب ما كانت توفره للمؤمنين بها من (توازن) نفسى ، يحتاج اليه الانسان ، ليثمر ويبدع ٠

ثم كانت هذه الحضارة هى التى دفعت بهذه المجتمعات ـ بعد ذلك ـ الى (الغرور) الذى جعلها تاخذ من دياناتها المظاهر والشكليات دون الجوهر ، مما كان يؤدى فى النهاية الى انهيار الحضارات بعد تشييدها ، ليبدأ الانسان ـ من جديد ـ السير فى طريق العقيدة الصافية ، ثم فى طريق الحضارة ٠

بل ان برتراند رسل ، وارنولدتوينبى ، يربطان بين (الحرب) و (المدنية)، فيرى رسل أن « الامبراطورية الرومانية » « كانت » « مسالمة ، وغير منتجة ، بينما كانت أثينا فى عهد بيركلس أكثر البلاد انتاجا ، كما كان أهلها أشد الناس نزوعا الى الحرب فى التاريخ تقريبا » ، وأنه « فى كثير جدا من الأحيان لا تعنى المسالمة الا مجرد افتقار صاحبها الى القوة ، وليس أنه يرفض استعمال القوة فى قهر الآخرين »(١) ٠

كما يرى أرنولدتوينبى أن « دراسة مقارنة لسقوط المدنيات المعروفات ، ترينا أن الانهيار الاجتماعى انما هو مأساة ، سببها الرئيسى الحرب ٠ ويمكننا أن نقول ، دون أن نتجنب الصواب ، ان الحرب ، ما هى الا وليد المدنية » ، « أن الحرب لا تبدأ فى اظهار خبثها ، الا بعد أن يكون المجتمع المحارب قد بدأ يزيد منقدرته الاقتصادية ، ليستغل طبيعته المادية ، ومن قدراته السياسية ، لتنظيم قوته البشرية »(٢) ٠

ثم يرى توينبى ـ أخيرا ـ أن « النزعة الحربية » « كانت » « أشد أسباب انهيار المدنيات شيوعا ، خلال الأعوام الأربعة أو الخمسة آلاف ، التى شهدت سقوط المدنيات العشرين ، أو نحو ذلك ، التى سجلها التاريخ حتى وقتنا الحالى » (٣) ٠

---

(١) برتراندرسل : نحو عالم أفضل ـ ترجمة ومراجعة درينى خشبة وعبد الكريم أحمد ـ رقم (٦٨) من مشروع (الألف كتاب) ـ العالمية للطبع والنشر ، ص ٧٧ ٠

(٢) أرنولد توينبى : الحرب والمدنية ـ ترجمه أحمد محمود سليمان ـ راجعه الدكتور محمد أنيس ـ رقم (٥٠٧) من (الألف كتاب) ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٤ ، ص ٨ ، ٩ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥١ ٠

وهكذا بدأت العقيدة الدينية فى هذه المجتمعات القديمة أشبه (بالفلسفات)، منها بالعقائد الدينية كما عرفناها ، وكما سنراها فى عهد رسالات السماء .

وكان (أنبياء) هذه العقائد ، أقرب الى الفلاسفة ، الذين تأملوا الحيــاة فى مجتمعاتهم ، واستخلصوا ما يعبر عن هذه الحياة ، ويساعد النــاس على الحياة (المتوازنة) فى هذه المجتمعات .

وقد بلغت هذه العقيدة الدينية فى المجتمعات القديمة ذروتها من الكمال ، ومن القرب من العقيدة الدينية السماوية .. فىمصر القديمة ، من حيث فكرة التوحيد ، والحياة بعد الموت .. وما اليها .

بيد أن مثل هذه العقائد الدينية غير السماوية كانت تؤدى بالانسان ــ فى النهاية ــ الى فراغ .

غير أننا يجب علينا ألا ننظر اليها،باكثر منحجمها،فقد كانت كل منها مجرد خطوة خطاها الانسان فى طريق العقيدة الصحيحة ، وكانت مجرد تمهيد ، أو درجة من درجات النمو الانسانى .. تمهيدا لنزول رسالات السماء ، حيث ترتبط العقيدة الدينية بمصدرها الأعظم .. بالله سبحانه خالق الـكون ، وخالق الانسان ... وخالق الحيــاة .

العقيــــدة الســماوية :

رأينا فى مطلع هذا الفصل ، أن الانسان ـ بطبيعته ــ جسد وعقل ونفس أو روح ، وأن هذه الجوانب المتعددة فى الشخصية الانسانية ، انما هى كل متكامل ، تتفاعل أجزاؤه ، لتكون لنا فى النهاية (الشخصية) ، ونمط هــذه الشخصية[١] .

وفى طفولة الانسان ، تغلب حاجات (الجسد) ، بينما تقل مطـــالب (العقــل) .

ويختلف الطفل عن الانسان الناضج ـ كذلك ــ فى أنه ابن ســـاعته ، كما يقولون ، فهو يسعد اذا كان فى حاضره ما يسعده ، ويبكى اذا كان فى حاضره ما يؤلمه ، وليس له فيما قبل الحاضر أو بعده تفكير .

---

(١) ارجع الى ص ٤١ من الكتاب .

وعلى العكس من ذلك تماما ـ الانسان الناضج ٠

وهكذا الانسانية فى طفولتها ، كانت ترضى احساسها الدينى بأن تصنع الهها ، أو تراه بعينيها ، أو تجسده فى مخلوق تراه ٠

فالأفكار المجردة أمر يفهمه الكبار الناضجون ، ولا تستطيع أن تستوعبه عقول الصغار والأطفال ٠

ولم تعدم الانسانية فى طفولتها الأولى قوما أصفى نفسا ، وأرهف حسا ، وأقدر على النفاذ بعقولهم وقلوبهم الى الغائب والمستقبل ، لرؤية ما لا يراه غيرهم من بنى جلدتهم ٠

وبعبارة أخرى : لم تعدم الانسانيه ـ فى طفولتها الأولى ـ قوما ظلوا محافظين على فطرتهم السليمة ، يتصورون أن الاله لا يمكن أن يرى بالعين ، أو يسمع بالأذن ، والا فقد (قدسيته) الواجبة له ، وان هذا الاله لابد أن يكون عظيما ٠٠ وأنه أعظم من جميع مخلوقاته ٠

أليس هذا ما رآه سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فى رحلة الشك التى سلكها الى الله حتى وصل الى اليقين ؟

ولذلك كان أبو الأنبياء عليه السلام منطقيا مع فطرته ، بقدر ماكان غير منطقى مع قومه ٠

وهكذا كان كلّ انبياء الله ـ منطقيين مع فطرتهم ، بقدر عدم منطقيتهم مع قومهم ٠

« ولهذا الضعف الذى كانت عليه الانسانية فى مراحلها الأولى ، فقد كثر مبعوثو السماء اليهم ، فكان لا يكاد يخلو مجتمع حينذاك من رسول ، ولا تعيش قرية من غير نبى ٠٠ وذلك لأن الانسان أشد ما يكون حاجة الى الرعاية والعناية فى طور طفولته ، وهو فى هذا الدور من حياته ، ان لم يجد من يرعاه ويقوم على توجيهه ، هلك ، أو بات فى معرض الهلاك ٠ وكذا الانسانية فى طفولتها ٠٠ تكون غيرها حين تشب وترشد ٠٠ » ٠

« يظهر فيهم الراشدون ، يذيعون فى الناس رسالات الخير والرحمة

والهدى ، فيلقاهم من الطرف الآخر مضللون ، يلقون الى الناس الحيرة والسفه والعمى » (١) ٠

وكانت مهمة هؤلاء الرسل محدودة وواضحة ، وهى أن يقودوا القافلة الانسانية الى طريق الله ، ويضعوا أقدامها على الطريق الصحيح ٠

وما دام جوهر العقيدة قد صح ٠٠ فان كل شىء عداه لابد أن يكون صحيحا :

ـ « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون »(٢) ٠

فاذا آمن الانسان بأن هناك الها واحدا قادرا ، بيده الأمر كله ، فانه لابد أن يرضى بما يقول به هذا الاله القادر ، وعلى أساسه تتحدد علاقة الانسان بالأرض والسماء ، وبخلق الله الكثيرين فى الأرض والسماء ، بما فى ذلك بنو آدم الذى يعيشون معه ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، حاكمهم ومحكومهم :

ـ « ولله ما فى السموات وما فى الأرض ، ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ، وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وكان الله غنيا حميدا ٠ ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ٠ ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ، وكان الله على ذلك قديرا ٠ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعا بصيرا »(٣) ٠

ـ « تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك ، فزين لهم الشيطان أعمالهم ، فهو وليهم اليوم ، ولهم عذاب أليم ٠ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »(٤) ٠

وكان مجرد تصحيح جوهر العقيدة على هذا النحو ، فيه مساس بكثيرين من ذوى (المصالح المكتسبة) ، فهو يمس الحاكم المستبد ، الذى يستغله

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا (مرجع سابق) ، ص ٩١ ٠

(٢) قرآن كريم : سورة الأنبياء ـ ٢١ : ٩٢ ٠

(٣) قرآن كريم : سورة النساء ـ ٤ : ١٣١ ـ ١٣٤ ٠

(٤) قرآن كريم : سورة النحل ـ ١٦ : ٦٣ ، ٦٤ ٠

شعبه ، والغنى الذى يستذل الفقراء ، والكبير الذى يحتقر الصغار .. وبيد الحاكم والغنى والكبير مفاتيح القلوب والعقول ، فخلف هؤلاء جميعا تسير (القطعان) البشرية ، عن رضا واقتناع ، أو عن خوف وجبن .

ومن ثم كان التصدى للرسل ـ كل الرسل ـ عنيفا ، وكان صبر الرسل ـ والمؤمنين بهم ـ عظيما ، وكان جهادهم وبلاؤهم أكبر ، ثم كان النصر ـ فى النهاية ـ بعد الصبر والبلاء ـ لهم وللمؤمنين بهم ، وكان هذا النصر ـ فى حقيقة أمره ـ نصرا للفطرة السليمة ، أكثر مما كان نصرا لأصحاب هذه الفطرة السليمة بأشخاصهم :

ـ « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى ، أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا : كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون ؟ » (١) .

ـ « قل : سيروا فى الأرض ، فانظروا : كيف كان عاقبة المجرمين ؟ »(٢) .

ـ « قل : سيروا فى الأرض ، فانظروا : كيف كان عاقبة المكذبين ؟ »(٣) .

ـ « قل : سيروا فى الأرض ، فانظروا : كيف كان عاقبة الذين من قبل ؟ كان أكثرهم مشركين »(٤) .

وكان أصحاب العقيدة السليمة ، والفطرة المستقيمة ، والايمان الراسخ ، دوما ، أقلية ضعيفة مضطهدة ، فى مواجهة كثرة كثيرة ، ولكنها كانت ـ بارادة ربها ـ تنتصر :

ـ « ولقد استهزىء برسل من قبلك ، فامليت للذين كفروا ، ثم أخذتهم ، فكيف كان عقاب ؟ »(٥) .

ـ « ولقد استهزىء برسل من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون »(٦) .

---

(١) قرآن كريم : سورة يوسف ـ ١٢ : ١٠٩ .
(٢) قرآن كريم : سورة النمل ـ ٢٧ : ٦٩ .
(٣) قرآن كريم : سورة النحل ـ ١٦ : ٣٦ .
(٤) قرآن كريم : سورة الروم ـ ٣٠ : ٤٢ .
(٥) قرآن كريم : سورة الرعد ـ ١٣ : ٣٢ .
(٦) قرآن كريم : سورة الأنبياء ـ ٢١ : ٤١ .

وكان أصحاب (المصالح المكتسبة) يلتمسون كل سبيل ، ويخلقون (مماحكات) متعددة ، كلها باطلة ، للوقوف فى سبيل نجاح (الرسالة) ، ووصولها الى القلوب ، حماية لمصالحهم التى تهددها تلك الرسالة ٠

وهنا الفرق الجوهرى بين رسالات السماء ، والديانات غير السماوية ، التى سبق الحديث عنها ٠

كانت الديانات غير السماوية تعمل على حماية (النظام) الاجتماعى ، ومن أجل ذلك عملت ديانات الهند ـ مثلا ـ على الابقاء على النظام (الطبقى) الذى وجدته ،وابقت على (المنبوذين) بلا ذنب جنوه ـ منبوذين ٠ وكذلك فعل أفلاطون فى مجتمعه المثالى Utopia ، الذى عرضه لنا فى (الجمهورية) و (القوانين) ٠٠ أما الديانات السماوية ، فقد عملت على هدم هذا (النظام) ، طالما كان فاسدا ، لا يتفق مع الفطرة السليمة ، والنظرة المستقيمة الى الكون والحياة ، ومن ثم اصطدمت بكل نظام ظهرت فيه ، ولقيت ـ ولقى أتباعها ـ العنت والارهاق ، وخاضت الحروب الدامية ٠٠ قبل أن تنتصر ٠

وكان من (المماحكات) التى يسوقها أصحاب هذه (المصالح المكتسبة) ، أن هؤلاء الرسل رجال مثلهم ، وليسوا ملائكة مثلا ، وأن هؤلاء الرسل (يهذون) حين يقولون ببعث بعد الموت ، أو يقولون بوجود اله لا تراه أعينهم ٠٠ وكلها ـ كما لا يخفى ـ مماحكات ، يخدعون بها أنفسهم ، ويخدعون بها ضعاف العزيمة من تابعيهم [1] ٠

وبعد تصحيح جوهر العقيدة ، كان الرسل يتجهون الى وضع الأمور فى نصابها ، فيعملون علىَ صيانة الكرامة الانسانية ، واعطاء كل ذى حق حقه ، وعلى محاربة الآفات الاجتماعية التى نتجت عن فساد العقيدة الدينية قبل ان يبعثوا ٠

ومن ثم يتفق الرسل جميعا فى هذا الجوهر ، ثم يختلفون بعد ذلك اختلافات (نوعية) ، حسب المرض الاجتماعى ، الذى استشرى بسبب فساد العقيدة ٠ وقد اختلف هذا المرض من مجتمع الى آخر ٠

كان المرض الاجتماعى الذى نتج عن فساد العقيدة الدينية فى قوم لوط

---

(١) سوف نتحدث عن ذلك تفصيلا فى الكتاب الخاص (بأنبياء الله) ، وهو الكتاب السادس ، من هذه السلسلة ٠

هو (الشذوذ الجنسى)(١) ، ومن ثم اتجهت رسالة لوط الى اصلاحه ، بعد اصلاح العقيدة :

ـ « ولوطا اذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ؟ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ؟ بل أنتم قوم تجهلون • فما كان جواب قومه الا أن قالوا : اخرجوا آل لوط من قريتكم ، انهم أناس يتطهرون »(٢) •

ـ « كذب قوم لوط المرسلين • اذ قال لهم أخوهم لوط : ألا تتقون ؟ انى لكم رسول أمين • فاتقوا الله وأطيعون • وما أسألكم عليه من أجر ، ان أجرى الا على رب العالمين • أتأتون الذكران من العالمين ؟ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ؟ بل أنتم قوم عادون • قالوا : لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين »(٣) •

وكان المرض الاجتماعى الذى نتج عن فساد العقيدة الدينية فى عاد ، هو العدوان والبطش ، اغترارا بما رزقهم الله من خير كثير(٤) ، ومن ثم اتجهت رسالة هود الى اصلاحه ، بعد اصلاح العقيدة الدينية :

ـ « كذبت عاد المرسلين • اذ قال لهم أخوهم هود : ألا تتقون ؟ انى لكم رسول أمين • فاتقوا الله وأطيعون • وما أسألكم عليه من أجر ، أن أجرى الا على رب العالمين • أتبنون بكل ريع آية تعبثون ؟ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ؟ واذا بطشتم بطشتم جبارين ؟ فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون • أمدكم بأنعام وبنين • وجنات وعيون »(٥) •

وكان المرض الاجتماعى الذى نتج عن فساد العقيدة الدينية فى أصحاب الأيكة قريبا منه فى عاد ، الا أن (العدوان) اتجه فى عاد الى الغير ، بينما اتجه فى أصحاب الأيكة الى النفس ، ممثلا فى الغش وبخس الكيل

---

(١) بدأ هذا المرض ـ مع أمراض نفسية كثيرة أخرى ـ يظهر فى الغرب اليوم ، باسم (الحرية الشخصية) ، وهو فى الواقع لا يدل على حرية ، بقدر ما يدل على فساد الحضارة الغربية ، بسبب نزعتها (المادية) الخالصة •

(٢) قرآن كريم : سورة النمل ـ ٢٧ : ٥٤ ـ ٥٦ •

(٣) قرآن كريم : سورة الشعراء ـ ٢٦ : ١٦٠ ـ ١٦٧ •

(٤) وهى قصة قريبة من قصة الغرب الاستعمارى طوال القرن التاسع عشر ، وحتى الحرب العالمية الثانية •

(٥) قرآن كريم : الشعراء ـ ٢٦ : ١٢٣ ـ ١٣٤ •

والميزان ، والافســـاد فى الأرض ، جمعـا للثـروة ، ومن ثم اتجهت رســالة شعيب الى اصلاحه ، بعـد اصلاح العقيـدة الدينية :

— « كذب أصحاب الأيكة المرسـلين • اذ قال لهم شعيب : ألا تتقـون ؟ انى لكم رسول أمين • فاتقـوا اللـه وأطيعون • وما أسألكم عليـه من أجـر ، ان أجـرى الا عـلى رب العـالمين • أوفوا الكيـل ولا تـكونوا من المخسرين • وزنوا بالقسطاس المسـتقيم • ولا تبخسـوا النـاس أشـياءهم ، ولا تعثوا فى الأرض مفسـدين • واتقـوا الذى خلقكم والجبـلة الأولين • قالوا : انمـا أنت من المسحرين • وما أنت الا بشر مثلنا ، وان نظنك لمن الكاذبين »[1] •

وكان المرض الاجتماعى الذى نتـج عن فسـاد العقيـدة الدينية فى مصـر الفرعونية ، هو الاستبداد السياسى ، وعبـادة الفـرد الحاكم[2] ، ومن ثم اتجهت رسالة موسى الى اصلاحه ، بعـد اصلاح العقيـدة الدينية :

— « ان فرعون عـلا فى الأرض ، وجعـل أهلهـا شـيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبنـاءهم ، ويستحيى نساءهم ، انه كان من المفسدين »[3] •

— « وقال فرعون : يأيهـا المـلأ ، ما علمت لكم من الـه غيرى ، فأوقـد لى ياهامان عـلى الطـين ، فاجعل لى صرحا ، لعـلى أطلع الى الـه موسى ، وانى لأظنه من الكاذبين • واستكبر هـو وجنوده فى الأرض بغير الحـق ، وظنـوا أنهم الينـا لا يرجعـون • فأخـذناه وجنوده فنبذناهم فى اليـم ، فانظر : كيف كان عاقبة الظالمين ؟ » [4] •

— « ولقـد أرسلنا موسى بآياتنـا وسـلطان مبين • الى فرعـون وهامان وقارون ، فقالوا : سـاحر كذاب • فلمـا جاءهم بالحـق من عندنا قالوا : اقتلوا أبنـاء الذين آمنـوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيـد الكافرين الا فى ضلال • وقال فرعون : ذرونى أقتـل موسى ، وليـدع ربـه ، انى أخـاف أن يبـدل

---

(١) قرآن كريم : الشعراء — ٢٦ : ١٧٦ — ١٨٦ .

(٢) لعل هذا المرض أشد وضوحا اليوم فى المعسكر الشيوعى ، وفى بلاد العالم الثالث .

(٣) قرآن كريم : القصص — ٢٨ : ٤ .

(٤) قرآن كريم : القصص — ٢٨ : ٣٨ — ٤٠ .

دينكم ، أو أن يظهر فى الأرض الفساد • وقال موسى : انى عذت بربى وربكم ، من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب »(١) •

- « ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ، أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون ؟ »(٢) •

وكان المرض الاجتماعى الذى نتج عن فساد العقيدة الدينية فى بنى اسرائيل ، هو أنهم قابلوا نعمة الله عليهم بالصد والنكران •

لقد حررهم موسى من طغيان فرعون ، وقابلوا ذلك كله بالعقوق ، فاعتقدوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ومن أجل هذه (القرابة) المزعومة من الله ، فعلوا كل منكر ، وأتعبوا موسى عليه السلام نفسه ، رغم أنه هو الذى استنقذهم من عذاب فرعون واستبداده :

- « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون • وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى ، اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال : انكم قوم تجهلون • ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون • قال : أغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ؟ »(٣) •

- « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا انه لا يكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه ؟ وكانوا ظالمين »(٤) •

واذا كان بنو اسرائيل قد ارتدوا الى الشرك مرة ثانية ، فى حياة موسى عليه السلام •• فكيف يكون أمرهم بعده ؟ •

لقد ازدادوا كفرا •• وزادوا بغيا وظلما (٥) :

---

(١) قرآن كريم : غافر - ٤٠ : ٢٣ - ٢٧ •
(٢) قرآن كريم : الزخرف - ٤٣ : ٥١ •
(٣) قرآن كريم : الأعراف - ٧ : ١٣٧ - ١٤٠ •
(٤) قرآن كريم : الأعراف - ٧ : ١٤٨ •
(٥) لنا عن بنى اسرائيل - عبر العصور - أحاديث وأحاديث ، لا مجال للافاضة فيها هنا أكثر من ذلك ، وانما سنترك لها الكتاب الذى سنخصصه لهم ، من كتب هذه السلسلة •

— « ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون • وإذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا : سمعنا وعصينا ، وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل : بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين • قل : ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين • ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون »(١) •

وكان المرض الاجتماعى الذى أصاب بنى اسرائيل ، ونتج عن فساد عقيدتهم الدينية ، هو حب الدنيا ، ومن ثم اتجهت رسالة عيسى عليه السلام ـ بعد اصلاح عقيدتهم الدينية ـ الى الارتماء فى أحضان الروح ، للاحساس بلذة أخرى للحياة ، حين يرتفع الانسان عن حاجات الجسد وشهواته •

ولكنهم أتعبوا سيدنا عيسى ، كما أتعبوا من قبله سيدنا موسى ، وكما أتعبوا من بعده سيدنا محمدا ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام :

— « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ؟ وقالوا : قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلا ما يؤمنون • ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين »(٢) •

العقيدة الاسلامية :

وكان لا بد أن تجتمع رسالات السماء فى رسالة ، تخاطب العقل ، وقد نما ذلك العقل ، وتتخذ من هذا العقل منطلقها الى صحة العقيدة ، وتضع للناس ـ فى كل زمان ومكان ـ اطارا عاما عريضا للحياة الفاضلة ، فى مجتمع مثالى ، طالما حلم به الفلاسفة ، ولم يجدوا الى تحقيقه سبيلا ـ فكانت رسالة الاسلام •

---

(١) قرآن كريم : البقرة ـ ٢ : ٩٢ ـ ٩٦ •
(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ٢ : ٨٧ ـ ٨٩ •

وكان من مميزات هذه الرسالة الجديدة أنها جاءت تخاطب العقـل ، وأنها لم تتنكر للرسالات السابقة ، بل دعمتها ، ولم تتنكر للرسل السابقين ، بل دعت الى (الايمان) بهم وبرسالاتهم ، وجعلت هذا الايمان بالرسل السابقين ورسالاتهم ، شرطا من شروط الايمان الصحيح :

ـ « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير »(١) •

وكان من مميزاتها ـ كذلك ـ أنها تجاوزت هذا الاعتراف (النظرى) بالرسل والرسالات ، الى حماية المؤمنين بهم وبها ، وتوفير حرية العقيدة كاملة لهم ، وجعلهم يعيشون بين المسلمين ، (لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم) ، دون ما تفرقة ولا تمييز •

والتاريخ الاسلامى فياض بقصص ذلك كله ، وليس مجاله هنا الآن •

وكان من مميزاتها أيضا ، أنها جمعت الرسالات السابقة كلها بين دفتيها ، فاذا كانت كل رسالة سابقة جاءت الى قوم معينين ، لتصحح لهم عقيدتهم الدينية بعد اختلالها ، ولتعالج مرضا اجتماعيا يستشرى فيهم نتيجة لاختلال العقيدة ، فقد جاءت رسالة الاسلام ، فصححت العقيدة الدينية عموما ، ثم عالجت كل الأمراض الاجتماعية ، التى انتشرت ويمكن أن تنتشر ، فى كل زمان ومكان ، ومن هنا كانت (عمومية) هذه الرسالة ، وكان خلودها ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وكان من مميزاتها ـ أيضا ـ أنها اتسمت (بالوسطية) ، فلم تكن أميل الى المادية كما كانت اليهودية ، ولا أميل الى الروحانية كما كانت المسيحية ، وانما كانت مادية روحية معا ، وبذلك كانت ملبية لكل الحاجات ، قادرة على الاستجابة لكل المتغيرات •

وكانت هذه العقيدة ـ كما سنرى فى الفصل التالى ـ الخاتمة الذهبية ، لسلسلة طويلة من الرسالات ، وكانت ـ كغيرها من حلقات تلك السلسلة الطويلة ـ تفهم النفس البشرية حق فهمها ، ومن ثم كانت تتخذ منها منطلقا لكل اصلاح •

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ـ ٢ : ٢٨٥ •

« وما خلدت رسالات النبيين ، وكونت حولها جماهير المؤمنين ، الا لأن « النفس الانسانية » كانت موضوع عملها ومحور نشاطها ، فلم تكن تعاليمهم قشورا ملصقة ، فتسقط فى مضطرب الحياة المتحركة ، ولا ألوانا مفتعلة ، تبهت على مر الأيام » . « فالنفس المختلة تثير الفوضى فى أحكم النظم ، وتستطيع النفاذ منه الى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة ترقع الفتوق فى الأحوال المختلة ، ويشرق نبلها من داخلها ، فتحسن التصرف والمسير ، وسط الأنواء والأعاصير » (١) .

ولنا - بعد هذه العجالة - الفصل القادم كله للحديث عن العقيدة الاسلامية .

---

(١) محمد الغزالى : خلق المسلم - الطبعة التاسعة - مطابع قطر الوطنية - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، ص ٢١ .

الفصل الثالث

العقيدة الاسـلامية ٠٠٠ والانسـان

محور العقيدة الاسلامية :

ليس من المبالغة فى شىء أن نقول : ان الله سبحانه وتعالى هو جـوهر العقيدة الاسلامية ، ومحورها الأسـاسى ٠

فالله سبحانه هو خالق هذا الكون الفسيح الواسع ، بكل ما به من عوالم ومخلوقات وأسرار ٠٠ لا يحصيها عد ، ويستعصى عليها الحصر ، وكل منها ، لو دقق الانسان فيها النظر قليلا ، لوجد فيها قدرة الله واضحة :

ـ « وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الـذى اختلفـوا فيـه ، وهـدى ورحمة لقوم يؤمنون ٠ والله أنزل من السـماء ماء ، فأحيى بـه الأرض بعـد موتهـا ، ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون ٠ وان لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم ممـا فى بطونه من بين فرث ودم لبنـا خالصا سائغا للشاربين ٠ ومن ثمـرات النخيل والأعنـاب تتخذون منه سكرا ورزقا حسـنا ، ان فى ذلك لآيـة لقـوم يعقلون ٠ وأوحى ربك الى النحل ، أن اتخذى من الجبال بيوتا ، ومن الشجر ومما يعرشون ٠ ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونهـا شراب مختلف ألوانه ، فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ٠ والله خلقكم ثم يتوفاكم ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر ، لكى لا يعلم بعـد علـم شيئا ، ان الله عليم قـدير ٠ والله فضـل بعضـكم عـلى بعض فى الرزق ٠٠٠٠ ويعبـدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السـموات والأرض شـيئا ، ولا يستطيعون ٠ فلا تضربوا لله الأمثـال ، ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون »(١)٠

ـ « خلق السموات والأرض بالحق ، تعالى عما يشركون ٠ خلق الإنسان من نطفة ، فاذا هو خصيم مبين ٠ والأنعام خلقها ، لـكم فيها دفء ومنـافع ، ومنها تأكلون ٠ ولكم فيها جمال حين تريحـون وحين تسرحـون ٠ وتحمـل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرءوف رحيم ٠ والخيـل والبغال والحمير ٠٠٠ هو الذى أنزل من السماء ماء ، لكم منـه شراب ،

---

(١) قرآن كريم : سورة النحل ـ ١٦ : ٦٤ ـ ٧٤ ٠

ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ••• وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ••• وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وأنهارا وسبلا ، لعلكم تهتدون • وعلامات ، وبالنجم هم يهتدون • أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ؟ »[1] •

ووجود (الخالق) العظيم على هذا النحو ، يستدعى أن تكون كل (المخلوقات) خاضعة له خضوعا تاما ، لأن مقاليد أمورها بيديه وحده ، ومن ثم كانت (شهادة ألا اله الا الله) أولى الخطوات على طريق الاسلام ، وكان المطلب الحقيقى للانسان ـ فى الاسلام ـ « هو أن يخلق فى نفسه حالة العبودية الكاملة لله تعالى » ، و « العبودية هى أن يسلم المرء نفسه لله ، ويتوجه بكل مشاعره نحوه سبحانه »[2] ، ايمانا منه بأن « الذات الالهية ، هى الحقيقة المطلقة الوحيدة » [3] •

ومن ثم ، « تتلخص عقيدة الاسلام فى مطلق وحدانية الله ، خالق الكون ومالكه • ويسجل الاسلام بذلك المرحلة النهائية فى تطور الفكرة الدينية ، التى تؤيد سنة الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ، وتوضحها وتعمقها • ومن هذا المبدأ الأساسى ، تنتج وحدة الخلق ، ومصير العالم ، أى الوحدة الحية بين المادة والروح ، وبين المكان والزمان ، فى تطور الكون ، الذى يتحد بالله على نحو ما ، لأن وجود هذا الكون المادى نفسه ، هو الذى يعبر عن وجود الله ، ويكشف عنه »[4] •

ومن ثم ـ ايضا ـ كان اعلان الاسلام الحرب على الوثنية ، بمقدار اهتمامه بشهادة ألا اله الا الله ، لأن الايمان بأنه لا اله الا الله ، يجعل الانسان يرى الأمور كما يجب أن ترى ، فيتصرف فى حياته التصرف الجدير به وبعقله ، وبما له بين خلق الله من منزلة كريمة ، بينما « الوثنية هوان يأتى من داخل

---

(١) قرن كريم : سورة النحل ـ ١٦ : ٣ ـ ١٧ •

(٢) وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الاسلام ومقتضياته ـ ترجمة ظفر الاسلام خان ـ الطبعة الأولى ـ المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٧٣ ، ص ٣٣ •

(٣) مهندس وائل عثمان : حزب الله ، فى مواجهة حزب الشيطان ـ تقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٩٧٥ ، ص ١٩ •

(٤) الدكتور احمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٥٢ •

النفس ، لا من خارج الحياة ، فكما يفرض المحزون كآبته على ما حوله ، وكما يتخيل المرعوب الأجسام القائمة أشباحا جاثمة ، كذلك يفرض المرء الممسوخ صغار نفسه ، وغباء عقله ، على البيئة التى يحيا فيها ، فيؤله من جمادها وحيوانها ما يشاء »(١) .

وعندما يؤله الانسان انسانا مثله ، أو حيوانا دونه ، أو جمادا دونه ودون الحيوان .. فان ذلك يعنى فساد عقله وذوقه ، مما لابد أن ينعكس تماما على حياته ، وعلى تصرفاته فى هذه الحياة ، فتكون حياته دون حياة الانسان ، وتكون تصرفاته دون تصرفاته .

مكان الانسان فى العقيدة الاسلامية :

وليس من المبالغة فى شئ ـ أيضا ـ أن نقول : ان الانسان يحتل ـ فى العقيدة الاسلامية ـ منزلة لا تعلو عليها سوى منزلة الله سبحانه .

وقصة خلق الانسان ذاتها تدل على هذه المنزلة ، ولندع القرآن الكريم ذاته يقص علينا قصة خلق الانسان هذه ، لنتبين منها مكان الانسان ومكانته فى العقيدة الاسلامية :

ـ « واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون »(٢) .

وكانت هذه المنزلة الكريمة التى احتلها الانسان فى هذا الكون ، بعد منزلة الله سبحانه ، ودونها كل منزلة لغير الانسان من المخلوقات ، حتى الملائكة المقربين أنفسهم ، مما (أحقد) واحدا منهم على آدم ، حقدا دفعه الى الفسوق عن أمر ربه ، فرفض أن يسجد لآدم كما أمر الله ، فطرد من رحمته جزاء لهذا الفسوق :

ـ « واذا قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، أبى واستكبر ، وكان من الكافرين »(٣) .

---

(١) محمد الغزالى : فقه السيرة ـ مطابع على بن على ـ الدوحة ـ قطر ـ ص ١٧ .
(٢) قرآن كريم : البقرة ـ ٢ : ٣٠ .
(٣) قرآن كريم : البقرة ـ ٢ : ٣٤ .

ـ « واذ قال ربك للملائكة : انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون • فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين • فسجد الملائكة كلهم أجمعون • الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين • قال يا ابليس ، مالك ألا تكون مع الساجدين ؟ قال : لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • قال : فاخرج منها فانك رجيم•وان عليك اللعنة الى يوم الدين »(١) •

وقد رأينا عند حديثنا عن (الطبيعة الانسانية) ، فى مطلع الفصل الثانى(٢) ، أن الانسان ـ بطبيعته ـ قادر على أن يقوم بمهام ذلك الاستخلاف ، وان فطرته التى فطره الله عليها ، تمكنه من أن يقوم بها على خير وجه ، فقد « خلق الله هذا الانسان جسما كثيفا ، وروحا شفافا • جسما يشده الى الأرض ، وروحا يتطلع الى السماء ، جسما له دوافعه وشهواته ، وروحا له آفاقه وتطلعاته ، جسما له مطالب أشبه بمطالب الحيوان ، وروحا له أشواق كأشواق الملائكة » •

« وهذه الطبيعة المزدوجة ليست أمرا طارئا على الانسان ، ولا ثانويا فيه ، بل هى فطرته التى فطره الله عليها ، وأهله بها للخلافة فى الأرض ، منذ خلق آدم خلقا جمع بين قبضة الطين ، ونفخة الروح »(٣) •

فهو أقدر من الحيوان على القيام بمهام ذلك الاستخلاف •

وهو أقدر كذلك من الملائكة على القيام بتلك المهام •

وهو أقدر منهما على القيام بهذه المهام ، لأنه جمع ـ بين جنبيه ـ ما تفرق فيهما ، وزاد عليهما معجزة الله الكبرى فى الانسان ، وهى العقل ، فزاد به عنهما مجتمعين •

وجملة « هذه القوى ، من النفس والعقل والروح ، هى (الذات الانسانية) ، تدل كل قوة منها على (الذات الانسانية) فى حالة من حالاتها ، ولا تتعدد (الذات) الانسانية بأية صورة من صور التعدد ، لأنها ذات نفس ، أو ذات روح ، أو ذات عقل ، فانما هى انسان واحد ، فى جميع هذه الحالات »(٤) •

---

(١) قرآن كريم : الحجر ـ ١٥ : ٢٨ ـ ٣٥ •

(٢) ارجع الى ص ٣٩ ـ ٤٢ من الكتاب •

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ، ٧٧ •

(٤) عباس محمود العقاد : الانسان ، فى القرآن الكريم ـ دار الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ، ص ٣٧ •

و (الذات الانسانية) ليست محصلة جمع هـذه القوى المتعـددة ، من نفس وعقل وروح ، بطريقة حسابية ، وانما هى محصلتها بطريقة جدلية .

وبعبارة أخرى : ان الناس يتفاوتون فيما بينهم ، بطريقة تتفاوت بها ذواتهم ، فيما منحت من قـدرات وامكانيات ومواهب ، فقـد يـكون سـلطان الروح على النفس أقوى ، وقد يكون سلطان الجسـد ، بما فيـه من غرائز وشهوات ، هو السلطان الطاغى .

ذلك أن « الانسان رغم كونه أعلى الأجناس ، ففيه حيوانية ، وفيـه نباتية ، وفيه جمادية » ، و « ما فى الانسان من جمادية ونباتية وحيوانية مسير كهذه الأجناس تماما ، ولا اختيار له فى شىء » .

و « الخاصية التى تجعله انسانا » ، « هى العقل والفكر » ، « فتلك هى المنطقة التى يوجد فيها الاختيار ، وهى منطقة التكليف من الله ، ولذلك فان فاقـد هـذه لا يكلف من الله »(١) ، كما يحدث بالنسبة للطفل ، وللمجنون مثلا .

ولذلك ، فانه بينما نجد أنه قلما (يختلف) نباتان من نفس النوع ، زرعا فى حقل واحد ، وقلما (يختلف) حيوانان من نفس النوع ، يعيشان فى بيئة واحدة ، نجد أنه قلما (يتفق) انسانان ، حتى ولو نشآ فى نفس البيئة ، وربيا بنفس التربية .

ومن ثم ، فقد تكون محصلة هذه القوى أن تكون (الذات الانسـانية) قادرة على القيام بمهام وتبعـات ذلك الاسـتخلاف ، اذا اتبـع الانسـان طريق الفطرة التى فطره الله عليهـا ، وقـد تكون محصلتها ، أن تكون تلك (الذات) غير قادرة على القيام بها ، بل قد تكون محصلتها أن تكون تلك (الذات) ، بحيث تقف فى طريق الفطرة ، فتصد عن طريق الله(٢) .

---

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : القضاء والقدر ، معجـزات الرسول ، اعجاز القرآن ، مكانة المرأة فى الاسلام – اعداد وتقديم أحمد فراج – الطبعة الثانية – دار الشروق – سبتمبر ١٩٧٥ ، ص ٤٠ – ٤٢ .

(٢) سوف نتعرض لذلك بالحديث تفصيليا ، فى كتاب السلسلة الرابع ، عن (الانسان ، فى الاسلام ، والانسان المعاصر) ، وسوف نرى فيـه نمـاذج بشرية متعددة ، كما سنرى أسباب الاتفاق وأسباب الاختلاف بين انسان وانسان ... فيما يتصل بمسائل العقيدة هذه – وانما نكتفى هنا بهـذه العجالة فقط .

مواصفات الانسان المسلم :

ومن ثم كان الانسان المسلم ، أو الانسان كما ينشده الاسلام ، انسانا عاديا تماما ، بسيطا كل البساطة ، فهو (انسان) وكفى .

(فالانسانية) فى حد ذاتها مجموعة صفات ، وهى ليست مجرد كيان بيولوجى محض ، كما هو الحال بالنسبة (للحيوانية) .

وهذه الصفات التى تتسم بها الانسانية ، فيها نقاط القوة ، وفيها نقاط الضعف ، ومن مجموع نقاط القوة والضعف تتكون (الانسانية) .

والانسان الجدير بذلك التكريم الذى كرمه به ربه ، هو ذلك الانسان الذى يعرف نقاط قوته ونقاط ضعفه ، ثم يعمل على التخلص من نقاط الضعف تلك ، بتوجهه دوما نحو ذلك الهدف الأسمى ، الذى يجب أن يسعى اليه ، وهو الله سبحانه ، فهو المثل الأعلى للانسان المسلم .

والانسان مخلوق ، وان كانت كل المخلوقات دونه ، والفطرة - هنا - تقضى بأن يخضع خضوعا تاما لله وحده ، يسبح له ، ويقر من أعماق قلبه ، بعبوديته له ، ويتشرف بهذه العبودية .

وعبودية الانسان لله ، تفرض عليه أن يأتمر بما يأمره به ، وينتهى عما ينهاه عنه .

والانسان فى ائتماره بما يأمره به ربه ، وانتهائه عما ينهاه عنه ، انما يسير فى طريق هذا المثل الأعلى ، وبالتالى يقترب من الكمال ، ويكون - بقدر اقترابه منه - بحق - خليفة لله فى الأرض ، كما أراد الله له أن يكون :

- **« وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ، ذلكم الله ربى ، عليه توكلت واليه أنيب . فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير »**(١) .

- **« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ، ولله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم »** (٢) .

---

(١) قرآن كريم : الشورى - ٤٢ : ١٠ ، ١١ .
(٢) قرآن كريم : النحل - ١٦ : ٦٠ .

وعبودية الانسان لله ــ فى الوقت ذاته ــ تعتبر قمة تحرره ، وبدون هذه العبودية ، لا يمكن أن يحس الانسان بتحرر .

ان هذه العبودية تحرره من نفسه ومن هواه ، ومن وساوس شيطانه ، وطالما تحرر الانسان من نفسه وهواه ، فقد صار حرا حقيقة ، أما اذا لم يتحرر من نفسه ومنهواه ، فهو عبد ، تقيده الأغلال ... وان بدا للعين حرا طليقا .

ومن ثم فالانسان المسلم رافع رأسه دائما ، حتى فى أحلك الظروف ، وغير المسلم ، الذى ينكر عبوديته لله ، دائما يحنى رأسه .. لينال ما يريد ، حتى ولو كانهذاالذى يريده ليس مطلبا أساسيا من مطالب حياته .

وكم من أحرار ــ على هذا الأساس ــ يعيشون بين قضبان السجون .

وكم من سجناء ــ بهذا المنطق أيضا ــ ينطلقون بين الناس دون عوائق ، بل وقد يتربعون على قمة السلطة ، ويوجهون الأحداث ، ويسجنون من يشاءون ، ويصادرون أموال من يشاءون .

واولئك أحرار ، رغم السجن والقيد وذل الاسار ، لان السجن لم ينل من نفوسهم ، ولم يحن هاماتهم ، ولم يجعلهم يحسون بأنهم دون سجانيهم قدرا ، بقدر ما يجعلهم يحسون (بالرثاء) لهؤلاء السجانين .

وهؤلاء سجناء ، رغم السلطة والقوة وامكانية التحرك والتحريك ، لأنهم خائفون دائما ، من كل شىء ، ومن لا شىء ، فهم يحسون بأن أشباحا تطاردهم ، تريد أن تسلبهم ما نهبوه وينهبونه من مال ، وأن تستل من تحتهم ما يجلسون عليه من كراسى ، يريدون ألا يفارقوها ــ وأن تقبض على مايقبضون عليه من سلطة .. وبغير المال والسلطة والكراسى .. لا يحس هؤلاء بأن لهم قيمة .

ان هذه العبودية لله تحرر الانسان المسلم من الدنيا كلها ، وتزرع فى نفسه حقيقة أن هناك « حياة دنيا ، هى التى يحياها بنو آدم على الأرض ، وخير ما توصف به هذه الحياة ، هو أنها حياة دنيا ، أى سفلى وأحقر وأقل شأنا ، وهناك حياة آخرة ، هى الحياة الحقيقية الدائمة ، التى لا تنتهى

بموت ، كما هو الشأن فى الحياة الدنيا ، ومن أجل هذه الحياة الآخرة فليعمل العاملون فى حياتهم الدنيا »[١] ٠

وليس معنى أن الاسلام يزرع فى نفس المسلم مبدأ وضع الدنيا فى منزلتها الدنيا تلك ، هو ان يترك المسلم الدنيا ، لطلاب الدنيا ، ليتفرغ هو للآخرة ٠

ذلك أن طريق الدنيا هو نفسه طريق الآخرة ، فالانسان المسلم يشق طريقه الى الآخرة ، من خلال حياته الدنيا ، لا من خلال غيرها ٠

ومن ثم فالاسلام يزرع فى نفس المسلم الاهتمام بحياته الدنيا أساسا ، الا أن متاع تلك الحياة ، من مال وولد ومنصب وجاه ٠٠ يجب ألا يكون (هدف) أهدافه ، فيصرفه عن هدفه الحقيقى فى الحياة ، وانما يجب أن يكون مجرد (وسيلة) ، لتحقيق رسالة الانسان فى الحياة ، ولتمكينه من القيام بمهام (الاستخلاف) ، الذى كرمه به ربه ٠

« فالانسان فى دنياه يشقى ويتعب ، ويعمل ويكد ، ويأكل ويتمتع ، وينعم بالمال والولد ، ان رزق المال والولد ، ويلاقى المصائب والاهوال ، ويذوق الجوع والفقر والحرمان ، ولكنه فى كل الحالات راض سعيد ، لا المال يطغيه ، ولا الولد يعميه ، ولا السلطان والقوة تلهيه ، ولا الفقر والحرمان والجوع يشقيه » ، « لأن تلك كلها أعراض زائلة ، يبتلى بها الله عباده المؤمنين : أيشكرون على النعماء ، ويصبرون على البأساء ، أم يعميهم العرض الزائل عن الحياة الحقيقية ؟ »[٢] ٠

فالانسان المسلم — باحساسه بعبوديته لله — لا تطغيه الدنيا اذا أقبلت عليه ، ولا تشقيه اذا هى ولت عنه ، وانما هو سعيد دوما باقترابه من الله ، وهو يزداد سعادة كلما ازداد من الله اقترابا ٠

والانسان المسلم ، باحساسه العميق بعبوديته لله مطمئن الى أنه مرزوق فى يومه وغده ، والى أن الله ربه هو الذى يرزقه ، كما يرزق الطير ، على حد تعبير الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام :

---

(١) الدكتور عبد الغنى عبود : « الاسلام ، والصحة النفسية » — **منبر الاسلام** — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية — العدد ٢ — السنة ٣٣ — صفر ١٣٩٥ — فبراير ١٩٧٥ (عدد ممتاز) ، ص ١٥٩ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٩ ٠

- « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وفرحوا بالحياة الدنيا ، وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع »(١) •

- « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ن قتلهم كان خطئا كبيرا »(٢) •

- « •• ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ••• »(٣) •

والانسان المسلم ، رغم اطمئنانه الى رزق الله له ولأولاده ، انما يعمل ، لأن العمل فى حد ذاته عبادة ، يحرص المسلم عليها ، حرصه على الصلاة والصوم وأداء الزكاة •• ومن ثم فهو يعمل ، غير رابط عمله برزقه ••• فان كان هذا الرزق كثيرا شكر الله عليه ، وأنفق ما يزيد عن حاجته فيما يرضى الله ، وان كان هذا الرزق ضيقا ، شكر الله عليه أيضا ، ولم يحقد على من وسع الله عليهم فى الرزق •

واحساس الانسان المسلم بعبوديته لله ، يفرض عليه أن يضع يده فى ايدى غيره من عباد الله ، الذى يسعون لاقرار الحق والخير ، ودعم (انسانية) الانسان ، ومن ثم فهو يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويتخذ له فى الحياة موقفا ايجابيا ، يكون به من صانعى الأحداث ، لا من مواد هذه الأحداث ، وبذلك يحس بأنه - بحق - خليفة لله فى الأرض •

واحساس الانسان المسلم بعبوديته لله ، يجعله يحس أيضا بأنه جزء من هذا الكون ، لا ينفصل عنه ، وبأنه لابد أن يدرسه ويتفهمه ، ويعرف أسراره •

فهى دعوة الى البحث العلمى ، بكل مايحمله من معان •

ولم يكن غريبا - لذلك - أن يكون الأمر بالقراءة هو مستهل الدعوة الاسلامية • والقراءة - كما يقولون - هى مفتاح باب المعرفة ، والمعرفة هى المادة الخام للبحث العلمى ، والبحث العلمى هو طريق التنمية والتقدم ،

---

(١) قرآن كريم : الرعد - ١٣ : ٢٦ •

(٢) قرآن كريم : الاسراء - ١٧ : ٣١ •

(٣) قرآن كريم : الأنعام - ٦ : ١٥١ •

فان « هناك ترابطا واضحا بين كون الشعب متقدما ، وكونه قارئا » ، فان « القراءة تنمى الفرد ، والفرد ينمى المجتمع ، ولن تكون تنمية بغير قراءة »[١] .

ولم يكن غريبا – لذلك – كذلك – أن « القرآن لا يفتح المجال للبحث فحسب ، بل يشبع كذلك الغريزة العقلية فى الانسان ، ويستميلها ، بل يدفعها ويلزمها أن تقوم بوظيفتها ، بما يضربه لها من أمثال ، وما يذكره من آيات »[٢] .

وليس غريبا أن يلفت نظر قارىء القرآن الكريم ، وفرة الآيات التى تلفت نظر الانسان الى التفكر والتأمل ، واعمال العقل والفكر ، فى النفس ، وفى السموات والأرض ، وفى خلق الله الكثير من حولنا ، وفى ذلك الانتظام الدقيق الذى تسير عليه الحياة .

الانسان المسلم ومجتمعه :

الانسان – فى الاسلام – كما سبق – مخلوق ذو رسالة ، وهذه الرسالة هى المبرر الأساسى لاستخلافه ، فان قام بهذه الرسالة ، كان عند حسن ظن ربه به ، واستحق الجنة فى أخراه – نفس الجنة التى أسكنه الله فيها يوم خلقه ، لولا أن استدرجه الشيطان ، حتى اقترب من الشجرة التى نهاه الله عن الاقتراب منها :

– « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا ، بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » [٣] .

---

(١) الدكتور السيد أبو النجا : « القراءة مبدأ حسابى » – **لماذا نقرأ ؟** – لطائفة من المفكرين – دار المعارف بمصر ، ص ٦٦ .

(٢) الدكتور محمود حب الله : « موقف الاسلام من المعرفة والتقدم الفكرى » – **الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة** – مجموعة البحوث التى قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الاسلامية – جمع ومراجعة وتقديم محمد خلف الله – مكتبة النهضة المصرية ، ص ٣١ .

(٣) قرآن كريم : البقرة – ٢ : ٣٥ ، ٣٦ .

وان لم يقم الانسان بهذه الرسالة ، كان مقصرا فى حق نفسه .. لأنه سيخلد فى النار — نفس النار التى كتبها الله يوم القيامة على الشيطان واتباعه :

— « وبرزوا لله جميعا ، فقال الضعفاء للذين استكبروا : انا كنا لكم تبعا ، فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ، مالنا من محيص . وقال الشيطان لما قضى الأمر : ان الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم »(١) .

وتتلخص رسالة الانسان المسلم فى نشر الحق والعدل والخير .

ولا ينبغى للانسان المسلم أن ينشر الحق والعدل والخير ، ما لم يكن هو نفسه صورة لما يدعو اليه :

— « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »(٢) .

ومن ثم كانت رسالة الانسان المسلم تبدأ بنفسه ، يقوم معوجها ، ويحارب شيطانها ، ويوجهها الوجهة التى تجعله جديرا بذلك الاستخلاف الذى كرمه به ربه :

— « واذا قيل لهم : تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، الى الله مرجعكم جميعا ، فينبئكم بما كنتم تعملون »(٣) .

واذا استطاع الانسان أن يملك زمام نفسه ، فقد ملك الدنيا كلها ، وصارت ملك يمينه ، وصارت كلها لا تساوى عنده شيئا ، أما اذا فشل فى أن يملك زمام نفسه ، فقد خسر الدنيا والآخرة جميعا .. وان بدا لبعض قصار النظر يملك الكثير .

---

(١) قرآن كريم : ابراهيم — ١٤ : ٢١ ، ٢٢ .
(٢) قرآن كريم : الصف — ٦١ : ٢ ، ٣ .
(٣) قرآن كريم : المائدة — ٥ : ١٠٤ ، ١٠٥ .

وعلى الانسان المسلم — بعد نفسه — أن يتجه الى غيره ، الأقرب فالأقرب ، فهو مسئول عن اصلاح غيره ، مسئوليته عن اصلاح نفسه ، فتلك مسئوليته كانسان ، وكخليفة لله فى الأرض ٠

ولا تعنى مسئولية الانسان المسلم عن اصلاح غيره ، أحقيته فى أن يمسك بالسيف ، وينطلق فى الأرض ، يقطع رقاب العصاة والمنحرفين ٠٠ فليست القوة والعنف فى الاسلام سبيل الهداية ، وانما سبيلها هو الكلمة الطيبة والقدوة الحسنة :

— « قل يأيها الكافرون ٠ لا أعبد ما تعبدون ٠ ولا أنتم عابدون ما أعبد ٠ ولا أنا عابد ما عبدتم ٠ ولا أنتم عابدون ما أعبد ٠ لكم دينكم ولى دين »[1] ٠

فالعنف فى الدعوة الى الله لا يؤلف القلوب حولها ، بقدر ما ينفر القلوب منها ، وهذا العنف أن جمع حول الدعوة ، فانه لا يجمع حولها ، المؤمنين الصادقين ، بقدر ما يجمع حولها الخائفين المرتاعين ٠٠ الانتهازيين ٠

واذا خوطب الانسان مدعوا الى الله ، فانما يخاطب فيه أغلى ما فيه ، وهو قلبه وعقله ، فهما — كما سبق فى الفصل الثانى — موطن الفطرة التى فطر الله الناس عليها[2] ، ولا يخاطب فيه بطنه أو جسده ٠

ومن ثم لا يحفظ لنا التاريخ عن نبى من أنبياء الله عليهم السلام شيئا من عنف لجئوا اليه ضد من يريدون هدايتهم ، وانما حفظ لنا — على العكس من ذلك — عنفا وغلظة ممن عصوهم ، كان الأنبياء يقفون منهما موقفا سلبيا فى معظم الأحيان ، ويتخذون مواقف دفاعية فى أحيان قليلة ٠

وكانت (الكلمة الطيبة) التى ينطق بها هؤلاء الأنبياء وحواريوهم ، هى (العنف) كله فى نظر أعداء الله ، لأنها كانت بداية طريق المجتمع كله الى الله ، ولو تحول المجتمع الى طريق الله ، فلن يكون فيه مكان لظالم أو مستبد ، لأن الظلم والاستبداد لا يتفقان مع (الانسانية) التى وهبها الله للانسان ، والتى سعى الأنبياء جميعا الى اعادتها اليه ، بعد أن سلبه اياها الظالمون والمستبدون ٠

---

(١) قرآن كريم : الكافرون — ١٠٩ : ١ — ٦ ٠
(٢) ارجع الى ص ٣٩ — ٤١ من الكتاب ٠

وكانت هذه (الكلمة الطيبة) ذاتها ، هى التى ألبت كفار مكة ، على الاسلام والمسلمين ، فشرعوا يكيدون له ولهم بكل سبيل ، حتى (يحاصروا) هذا (الخطر) الذى يتهددهم من كل جانب ...

ولم يحفظ لنا تاريخ الاسلام كله ، أنه دخل الحرب الا مضطرا اليها ، اما مدافعا عن نفسه فى حرب أعلنت عليه ، أو قاطعا السبيل على عدوان يدبر ضده .

والتاريخ الاسلامى فى تطوره هذا متفق مع منطق الاسلام ، كما نراه من خلال كتابه المحكم :

— « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم »[١] .

فالاستعداد للحرب ، فى الاسلام ، ضرورى .. ولكن ضرورته تنبع من أن الكفار ، الذين تعلقوا بالدنيا ويتعلقون بها ، لا يفهمون غير لغة القوة ، ويوم لا يفهم المسلمون هذه اللغة التى لا يفهم الكفار غيرها ، فانهم يكونون عرضة للاغارة عليهم ، وتزود المسلمين بوسائل القوة فى حد ذاته ردع للكفار ، حتى لا يعتدوا ، أو يفكروا فى العدوان .

ومن أسباب القوة فى المجتمع الاسلامى ــ كذلك ــ امتلاك ناصية العلم والحضارة ، والقدرة على استغلال قوى الطبيعة ، لخير المسلمين ، ومن هنا كان الأمر بالقراءة ــ كما سبق ــ هو المفتاح الى فهم (الشخصية الاسلامية) الحقة ، وكان هو المفتاح الذى فتح به المسلمون باب حضارة رائعة فى العصور الوسطى ، قامت على أكتافها الحضارة الحديثة ــ حضارة القرن العشرين[٢] .

واذا كان العدل والحق والخير .. وكرامة الانسان ، هى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع المسلم ، فان مجرد وجود هذا المجتمع يعد (تهديدا) للنظم الفاسدة المعاصرة له ، لأن النظم الصالحة تنتشر ، وتنتقل بسرعة الى ما حولها ، لأنها مطلب انسانى عزيز .

---

(١) قرآن كريم : الأنفال ــ ٨ : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) ارجع الى ص ٣٢ ــ ٣٤ من الكتاب .

ومن هنا كان عدوان الديكتاتوريات على الديموقراطيات المعـــــاصرة ، ولا يزال ٠٠ ولم تكن الديموقراطيات أبدا ، هى البادئة بالعدوان ٠

وعندما تستنيم الديموقراطيات ، فانها تزول فى طريق الديكتاتوريات ، كما حدث فى أثينا على يد أسبرطة قبل الميلاد ، وعندما تستعد الديموقراطيات، لمواجهة الديكتاتوريات ، فانها تستطيع الحياة ، كما حدث فى انجلتــرا ، فى مواجهة اسـتبداد وتعطش نابليــون للفتح والتوســع ٠٠ فى عصر النهضـــة الأوربيـــة الحديثة ٠

ومن هنا كان أمر الاســـــلام (بالاستعداد) ٠٠ مع عدم العـــدوان ٠٠ ودعم السلام ، ان وجدت للسلام فرصة ٠

الاسلام وغير المسلمين :

الانسان هدف الأهداف فى الاســـــلام ، ومن أجله كانت تلك النظم والقوانين التى وضعها الاســـــلام ٠٠ لتضـمن له العـدل والحق والخير ٠٠ والكرامة ٠

والمقصود بهذا (الانسان) فى الاسلام ٠٠ هو الانســـان ، فى أى زمان ومكان ، رجلا كان أو امرأة ، أبيض كان أو أسود ، عربيا كان أو أعجميا ٠٠ مسلما كان أو غير مسلم ٠

فليس الاسلام دينا (مغلقا) على نفسه ، كما هو الحال فى اليهودية ، كما أرادها بنو اسرائيل ، وحرفوها لتلائم نفسياتهم ، وانما هو دين انســــــانى ، يشمل النـــاس جميعا ، وان لم يؤمنوا به ٠

وهو دين سمح ، يعترف بالأنبياء جميعا ، ولا يعتبر المسلم مسـلما مالم يؤمن بهم جميعا ، ايمانه برسوله ، ومالم يؤمن بكل الكتب السابقة ايمـانه بكتابه :

— « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ، غفـرانك ربنا واليك المصير »[١] ٠

---

(١) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٢٨٥ ٠

وتلك ايجابية من ايجابيات الاسلام التى لا يحصيها عد ، لا تتوفر لكثير من الأديان الكتابية الأخرى ، بسبب ما دخل عليها من تحريف :

ـ « وقالوا : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل : بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين • قولوا : آمنا بالله ، وما أنزل الينـا ، وما أنـزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسـباط ، ومـا أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيـون من ربهم ، لا نفرق بين أحـد منهم ، ونحن له مسلمون • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانماهم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم »(١) •

ومن ثم اتسم التاريخ الاسلامى كله (بالتسامح) مع الذميين والكتابيين، بينما كان المسلمون ـ ولا يزالون فى كثير من الاحيان ـ يلقون من الكتابيين ، من ألوان العنت والارهاق •• وحروب الابادة ، ما تقشعر منه جلود (الانسان)، فى كل زمان ومكان(٢) •

والمسلمون حين يحسنون معاملة الأقلية الدينية لديهم خصوصا ، والانسان عموماً ، انما يفعلون ذلك نزولا على أمر الله ورسوله صراحة ، من أن (لهم مالنا ، وعليهم ما علينا) • والكتابيون حين يسيئون معاملة المسلمين على هذا النحو ، انما ينتهكون حـرمة دينهم نفسه ، فالانسان لم يعزز ولم يكرم من حيث هو (انسان) ، فى الاسلام وحده ، وانما عزز وكرم فى كل دين سماوى ، لم يدخل عليه تحريف •

بل ، ولقد بلغ الاضطهاد حدا تعدى المسلمين الى أبناء الدين نفســـه ، الذين يتبعون مذهبا من مذاهب الدين ، لا تؤمن به الجماعة ، أو لا ترضى عنه الفئة الحاكمة ، كما حدث فى مصر القبطية قبيـل الفتـح الاسـلامى ، على يد البيزنطيين ، وكان هذا (الاضطهاد) من أسـباب فرح المصريين بالاســلام ، واقبالهم عليه اقبالا ، حتى صارت مصر القبطية ـ بعد سنوات من الفتـح ـ معقل الاسلام ، ومنارة كبرى من مناراته •

---

(١) قرآن كريم : البقرة ـ ٢ : ١٣٥ ـ ١٣٧ •

(٢) أرى أنه لابد ـ فى هذا المجال ـ من الرجوع الى هذه الدراسة الممتعة كلهـا :

ـ محمد الغزالى : التعصب والتســامح بين المسيحية والاســلام ـ دار الكتاب العربى فى مصر (بدون تاريخ) •

وقد طبعت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى منتصف هذا القرن ، ثم أعيد طبعه عدة مرات ، كان آخرها حتى الآن طبعته العاشرة ، فى الدوحة بقطـر ، على نفقة أميرها •

الفصل الرابع

افلاس الأيديولوجيات المعاصرة

رأينا ـ فى الفصلين الأولين من هذا الكتاب ـ أن الانسان (متــدين) بطبعه ، أو أنه مخلوق (ذو عقيدة) ، سواء كانت هذه العقيدة عقيدة سليمة ، تفسر للانسان الكون والحياة تفسيرا صحيحا ، أو كانت سقيمة ، تقـدم ذلك التفسير للانسان بصورة بعيدة عن العقل والمنطق ، بعيدة عن الحقيقة .

ورأينا أن هذه العقيدة ، سليمة كانت أم سقيمة ، هى التى تحفظ للانسان (كيـانه) أو (توازنه) النفسى ، وبدونها يختل هـــذا التوازن ، ويتحطم الانسان .

ورأينا كذلك أن الأديان السماوية السابقة على الاسلام محورها واحد ، هو الله سبحانه ، رب الناس ، خالق الكون والحيـاة والأحيـاء ، مدبر الأمر كله ، مالك يوم الدين ـ وأنه فى اطار هـذا (المحور) العـام ، اختلفت الأديان السماوية فيما بينها ، لأن كلا منها قد جاء الى قوم معينين ، فى زمان ومكان معينين ، لعلاج مرض اجتماعى معين ، نجم عن فساد العقيدة الدينية فسـادا استدعى رسولا ، يصحح تلك العقيدة .

ثم كانت رسالة الاسلام خاتم رسالات السماء ، التى اتخذت نفس هـذا المحور العام (الله) ، وحول هذا المحور العام دارت بقية أفكارها ، فـكانت (رسالة الرسالات) ، لأنها ضمتها جميعا بين دفتيها ، لتكون قادرة على علاج كل الأمراض الاجتماعيـة التى يمكن أن تظهر ، وبالتالى لتقـدم للانســان ـ فى كل زمان ومكان ـ الدواء ، اذا ظهرت عوارض الداء .

وقد رأينا فى الفصل الأول أن الأيديولوجيات المعـاصرة ، قـد نشـأت فى الغرب الأوربى ، بعد عصر الاصلاح الدينى فى الغرب ، وما نتج عن الاصلاح من (متغيرات) ، نجمت عن (تحرر) الانسان الغربى من الكنيسة ، ثم من السلطة ، وعن (انطلاقه) فى طريق العلم والمعرفة ، ثم تفجر (الثورة الصناعية) على أرضه ، نتيجة لذلك .

كل هذه (المتغيرات) لم تكن العقيدة المسيحية بقادرة على مسـايرة خطاها ، ومن ثم ظهرت فى ظلها أولى هذه الأيديولوجيات ـ الرأسمالية ، وفى

أحضان الرأسمالية الغربية ، ظهرت الأيديولوجيا الثانية ، المناهضة لها - الشيوعية .

مولد الأيديولوجيات المعاصرة :

فى ضوء (ضغوط) العصور الوسطى على (الانسان) الأوربى ، الذى « كان قد انطمست شخصيته ، فى ظل من استبداد الكنيسة ، وتلاشت حقوقه ، وانصهرت فى نار من طغيان الملوك ، فأصبحت حياته كلها واجبات بلا حقوق »(١) - يمكن فهم الأيديولوجيا الرأسمالية الحديثة ، التى ولدت فى عصر الاصلاح الدينى فى الغرب ، وبدون وضع هذه الضغوط فى الاعتبار ، يصعب تصور تلك الأيديولوجيا .

ورد فعل الكبت والضغط الطويلين .. هو الحرية غير المحدودة ، التى وجهت الحياة فى الغرب طوال القرون الثلاثة ، التى تلت ثورة الاصلاح الدينى - كما سنرى .

وعندما تكون الحرية محدودة ، فانها تعنى الفوضى وعدم الاستقرار .

وعندما تتحول الحياة الى فوضى ، فان رد الفعل المناسب يكون هو النظام - أى الكبت من جديد .

وكان هذا هو الجو النفسى ، الذى ولدت فيه الحركة الاشتراكية المتطرفة ، أو الشيوعية ، فى القرن التاسع عشر .

وهكذا كانت الرأسمالية منطقية مع نفسها فى ضوء (متغيرات) القرن السادس عشر ، وكانت الشيوعية منطقية مع نفسها فى ضوء (متغيرات) القرن التاسع عشر ، فقدكانت كل منهما رد الفعل المناسب (لمتغيرات) عصرها .

ولكن أيا منهما - الرأسمالية والشيوعية - لم تعد مناسبة (لمتغيرات) القرن العشرين ، بدليل (الموجة) الاشتراكية ، التى تتفجر فى بلاد الغرب الرأسمالى ، معلنة عن (افلاس) الرأسمالية ، وبدليل ذلك (التصدع) الذى حدث فى الحركة الشيوعية العالمية ، (بانشطارها) بين الصين ، حيث (الماوية) ،

---

(١) دكتور محمود عبد الرزاق شفشق ، ومنير عطا الله سليمان : تاريخ التربية ، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية - دار النهضة العربية - ١٩٦٨ ، ص ٢٩٢ .

وحيث تطبق الماركسية بحذافيرها ، دون مراعاة (لمتغيرات) العصر - وبين الاتحاد السوفيتى ، مهد الشيوعية ، حيث (الردة) الى الرأسمالية ، كما يقول الماويون الصينيون • وهذا (التصدع) فى الحركة الشيوعية العالمية دليل على (افلاس) الشيوعية ، لأن (وحدة) الحركة الشيوعية هى جوهر الشيوعية ، أو محورها الأساسى •

ثم ان كلا من الرأسمالية والشيوعية لا ترقى الى مستوى العقيدة ، فقد تستطيع هذه أو تلك أن تقدم تفسيرات لبعض مشكلات الحياة المادية الملموسة ، ولكنها لا تستطيع أن تقدم أى تفسير لما وراء المادة ، ومن ثم فهى تترك (الفراغ) قائما فى النفس ، لا تستطيع (سده) •

فكل من الرأسمالية والشيوعية أشبه بردود افعال مؤقتة سريعة ، لا تحل مشكلة الانسان الأساسية ، وهى مشكلة وجوده ، وعلاقته بالكون والحياة •

وكل منهما تعامل هذا الانسان على أنه (حيوان) ، وان اختلفت نظرة كل منهما الى هذا (الحيوان) ، وبالتالى اختلفت معاملة كل منهما له •

فالرأسمالية ترى - كما سنرى - اطلاق الحرية لهذا (الحيوان) ، لأن فى اطلاق الحرية له اطلاقا لطاقاته المبدعة ، التى ولدت للعالم مدنية القرن العشرين •

والشيوعية ترى - كما سنرى أيضا - أن اطلاق الحرية لهذا (الحيوان) أمر مدمر ، لأن فى اطلاقها اطلاقا لغرائزه وميوله العدوانية الشريرة ، ومن ثم لابد من (كبتها) بشتى السبل ، ليعمل هذا الفرد فى (اطار) اجتماعى ، لا يحيد عنه ، تحدده الدولة ، وتسهر على حمايته •

والنظرة الى الانسان هكذا ، على أنه (حيوان) ، أمر لا يليق (بكرامة) الانسان ، لا فى القرن العشرين ، ولا قبله ولا بعده - ومن ثم كان افلاس كل من الأيديولوجيتين المتناقضتين افلاسا يفسح الطريق ولا شك أمام ... أيديولوجيا الاسلام - كما سنرى فى الفصل الخامس والأخير •

نشأة الرأسمالية الحديثة وتطورها :

رأينا ان الرأسمالية نشأت فى الغرب ، بعد ثورة الاصلاح الدينى به سنة ١٥١٥ •

ويرى جورج سول ، أن الفلسفة الرأسمالية تعود الى كتاب ومفكرى عصر الاصلاح وما تلاه من عصور ، ممن « حرصوا على التأكيد بأن الفرد قوة اجتماعية ، ضرورية ونافعة »(١) ٠

ولهذه الفلسفة جذورها فى الفكر الاغريقى القديم ، خاصة عند سقراط Socrates (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق٠م) ، وتلميذه أفلاطون Plato (٤٢٧ ـ ٣٤٨ ق٠م) ، وتلميذ تلميذه أرسطو Aristotle (٣٨٤ ـ ٣٢١ ق٠م) ، وكان فكر هؤلاء المفكرين قد أعيد لكتشافه فى العصور الوسطى ، على يد الفلاسفة المسلمين ، فكان من الأسباب التى أدت الى ثورات الغرب على الكنيسة ، قبل تفجر ثورته الكبرى ـ ثورة الاصلاح ـ كما سبق فى الفصل الأول(٢) ٠

بيد أن بلورة هذه الفلسفة فى صورتها العصرية قد تمت على يد المفكر والفيلسوف الانجليزى ، جون لوك John Locke (١٦٣٢ـ١٧٠٤)،وهو من جماعة البيوريتان Puritans (٣) ، التى تعتبر من أكثر الجماعات البروتستانتية تعصبا ضد الكاثوليكية ، فقد رفضت التصالح مع الكنيسة الكاثوليكية ، ومن ثم انشقت على الكنيسة الانجليكانية الانجليزية ، وعلى الحكومة الانجليزية التى كانت تحميها ، ولم ينضم البيوريتان الى الكنيسة الانجليكانية ، الا بعد أن تعرضت المذاهب البروتستانتية كلها للخطر ، بعد أن دبت الحياة مرة ثانية فى الكاثوليكية ، اثر انقسام الحركة البروتستانتية ٠

وتقوم فلسفة لوك على أساس « احترام القيم الانسانية ، والحرية الفردية ، سواء فى الدين أو الفكر أو السياسة »(٤) ٠

ولقد كانت افكار لوك وآراؤه ، ذات تأثير واضح فى فلاسفة التحرير الفرنسيين ، مثل فولتير Voltaire (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ، ومونتسيكيو Montesquieu (١٦٨٩ ـ ١٧٧٥) ، وجان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) ٠

---

(١) جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى ـ ترجمة وتقديم راشد البراوى ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ، ص ٨١ ٠

(٢) ارجع الى ص ٣٠ ـ ٣٥ من الكتاب ٠

(٣) ومعناها اللغوى هو (المتطهرون) ٠ وهى جماعة شبيهة فى تطرفها بجماعة (الخوارج) فى الاسلام ٠

(٤) دكتور محمود عبد الرزاق شفشق ، ومنير عطا الله سليمان (مرجع سابق) ، ص ٢٩٢ ٠

وكانت هذه الأفكار كلها ، هى التى تقف وراء ما تفجر فى أوربا من ثورات على الظلم والاستبداد ، لعل من أشهرها على الاطلاق : الثورة الفرنسية على الظلم الداخلى ، والثورة الأمريكيــة على الاستعمار الخــارجى (الانجليزى) ، فلقد كانت الثورتان تحملان نفس الشعارات ، المستمدة من آراء هؤلاء المفكرين ٠

وفى الوقت الذى كانت (الثورة) فى انجلترا وفرنسا وأمريكا ، تسير عـلـى هذا النحو ، فى اتجاه تدعيم حرية الفرد ، بوصفه الأساس الذى تقوم عليـــه قوة المجتمع ـ كانت تسير فى ألمــانيا ، بسبب ظروف بروسيا الخاصة ، فى اتجاه تدعيم سلطان الدولة ـ كما سنرى عند الحديث عن نشأة الاشتراكيات الحديثة وتطورها فيما بعد ٠

وأيا كان اتجاه (الثورة) ، فقد كانت هناك ثورات لا تهدأ فى كل مــكان فى أوربا ، وقد بلغت هذه الثورات « ذروتها ، عام ١٨٤٨ »(١) ، حتى لقــدأطلق عليه اسم (عام الثورات) ٠

وعلى أية حال ، فقد كانت (الفردية) هى سمة الحياة فى أوربا بعد ثورة الاصلاح الدينى بها ، حتى فى ألمانيا ، فقد كانت الدولة بها تدعم ـ فى فــكر المفكرين ـ لحماية المواطنين ، لا لتحطيمهم ، فالــدولة كانت مســتودع قــوة مواطنيها ، ولم تكن سيفا مسلطا عليهم ٠ ولذلك يرى دوبن أن « الفردية ظلت هى الظاهرة التى يدور حولها التفكير الغربى ، على الأقل منذ القرن الثــامن عشر »(٢) ٠

(فحرية) الفرد ، هى المحور الذى تدور حولة الفلسفة الرأسمالية ٠

وقد تشعبت هذه الحرية فيما بعد ، فكانت حريته الدينية ، وكانت حريته السياسية ، وكانت حريته الاقتصادية ، وكانت سائر الحريات التى منحت للفرد فى المجتمع الغربى ـ كما سنرى ٠

---

(١) عبد الغنى سيد أحمد عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ـ رسالة مقدمة الى كلية التربية جامعة عين شمس ، للحصول على درجة دكتور فلسفة فى التربية ـ قسم التربية المقارنة والادارة التعليمية (كلية التربيـــة جامعة عين شمس) ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ، ص ٥٤ ٠

(2) DUBIN, ROBERT : Human Relations in Administration, with Readings; Third Edition, Prentice-Hall of India Private Limited, New-Delhi, 1970, P. 77.

وقد أدى اطلاق حرية الفرد فى الغرب الى اطلاق طاقاته المبدعة أيضا ، فكانت دراسته لعلوم المسلمين ، ثم كانت كشوفه واختراعاته ، التى فجرت (الثورة الصناعية) فى انجلترا أول الأمر ، ومنها انتقلت الى سائر أنحاء أوربا ، فى القرن الثامن عشر — أى بعد أكثر من قرنين من ثورة الاصلاح الدينى ٠

وقد أدت الثورة الصناعية الى « بزوغ طبقة رأسمالية جديدة ، تقوم على الصناعة ، وتؤمن بممكنات العلم ، وتستعين برجاله ، وتنفق عليهم فى كفاية وبذخ »[١] ، ومن ثم وجد هذا العلم قوته الدافعة ، فصار يقف — الى جانب الحرية الفردية — وراء كل ما تم فى الغرب من تغيرات ، حيث « أقيمت فى ظل الرأسمالية المعامل والمصانع ، وأنشئت السكك الحديدية ، وبنيت السفن الكبيرة » ، « فازداد انتاج مختلف الطيبات المادية ، عشرات ومئات الاضعاف ، مما كان عليه ، فى فترة ما قبل المرحلة الرأسمالية »[٢] ، فكل ما فى الحضارة الحديثة ، « ثمار مباشرة أو لا مباشرة ، للعملية الرأسمالية »[٣] ٠

ويلاحظ برتراند راسل أنه نتيجة للأخذ بالأسلوب العلمى فى الانتاج ، والاعتماد على العلم ورجاله فى الصناعة — صارت الحياة تتطور بسرعة ، حتى « لقد كان تغير وسائل العمل ، منذ قدماء المصريين الى عام ١٧٥٠ ، أقل من تغيرها من عام ١٧٥٠ حتى يومنا هذا »[٤] ٠

ولقد أدى اعتماد الرأسمالية على العلم ، وقدرة هذا العلم على تطوير وسائل الانتاج على هذا النحو ، الى ظهور لون جديد من (الاقطاع) ، صار هو الذى يوجه الحياة فى الغرب ، فقد أدى « نمو الاحتكارات ورأس المال » — على حد تعبير ليونتيف — « الى تمركز مفتاح الحياة الاقتصادية فى كل بلد ، فى أيدى حفنة قليلة من أصحاب البنوك ، وأصحاب الاحتكارات الصناعية » ، والى ظهور « ملوك النفط والحديد والكيماويات والألومنيوم والسكك الحديدية

---

(١) دكتور رءوف سلامة موسى (مرجع سابق) ، ص ٣٧ ٠

(٢) أ ٠ ليكسييف : القانون الاقتصادى للرأسمالية الحديثة — ترجمة اسماعيل عبد الرحمن — دار الفكر — ١٩٥٨ ، ص ٩ ٠

(٣) جوزيف شومبيتر : الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية — تعريب وتعليق خيرى حماد — الجزء الأول — العدد (١٨١) من (اخترنا لك) — الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٢٠١ ٠

(٤) برتراند رسل : النظرة العلمية — تعريب عثمان نويه — مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن — الجامعة العربية —(الادارة الثقافية)— مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٣١ ٠

والسيارات والفحم والصحف والبنوك ، كما يوجد كذلك ملوك للحم الخنزير المحفوظ واللبان .

والملوك يعتبرون أنفسهم ظلا للآلهة » ، « وفى أيديهم تتركز سلطة وثروة ، لم يحلم بها أى ملك من الملوك المتوجين ، لا فى العصور القديمة ولا الآن »[1] .

وكان هؤلاء (الملوك) الجدد ، الذين خلفتهم الثورة الصناعية فى الغرب ، هم الذين يوجهون الحياة السياسية فى الغرب الجديد ، وبسببهم كانت حركة الاستعمار ، بمختلف صوره وأشكاله .

لقد « اقترن الاستعمار بالرأسمالية التجارية ، والرأسمالية التجارية هى التي سادت فى أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وكانت فيها التجارة هى محور النشاط الاقتصادى » . « وفى مرحلة الرأسمالية الصناعية ، ظهرت تنظيمات انتاجية جديدة ، على رأسها الشركات المساهمة » ، و « انتقلت الرأسمالية من رأسمالية الوحدات الصغيرة ، أو رأسمالية المنافسة ، الى رأسمالية الوحدات الكبيرة ، أو رأسمالية الاحتكارات Monopoly Capitalism

وبظهور الاحتكارات ، اتسع نطاق الاستعمار ، وتطورت الرأسمالية الأوربية ، الى الرأسمالية الامبريالية »[2] .

وهكذا أدت (الحرية) الفردية ، التى انطلقت منها الأيديولوجيات الرأسمالية ، الى سائر الحريات ، الى أن صارت الرأسمالية تبدو بوجهها القبيح أمام العالم الخارجي ، مع مطلع القرن العشرين ، وبعد حوالى ثلاثة قرون من تفجر ثورة الاصلاح ، فقد صارت تمنح من الحريات لأبنائها بقدر ما تسلب من حريات الآخرين — فى المستعمرات .

وثمة وجه آخر قبيح بدت به منذ بداية الثورة الصناعية أمام مواطنيها ، وفى داخل حدودها .

---

(١) ل . أ . ليونتيف : الموجز فى الاقتصاد السياسى — ترجمة أبو بكر يوسف — مراجعة ماهر عسل — من سلسلة (من الفكر السياسى والاشتراكى) — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر — ١٩٦٧ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) دكتور سعد ماهر حمزة : المقدمة فى اقتصاديات التبعية والتنمية ، تجارب أفريقية وعربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٧ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

فلقد بدأ الصراع يقع بين العمال وأصحاب الأعمال ، فأصحاب الأعمال يريدون المزيد من الربح بشتى السبل ، بما فى ذلك اعطاء العمال الحد الأدنى الممكن من الأجور ، والعمال يريدون المزيد من الحقوق ، والمشاركة فى هذا القدر المتزايد من الأرباح ، التى يحصل عليها أصحاب الأعمال .

وسادت أوربا موجات من الاضطرابات والقلاقل ، استمرت طوال ثلاثة قرون ، من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، حيث « أفلس الفكر البورجوازى ، وتناقضت تقاليده فى البلاد المختلفة ، وقصر عن أن يبرز فى نظرية علمية موحدة ، تفسر الحقائق التاريخية المتجددة ، وتقوم الصراع فى ضوء التبدلات التى طرأت على طبيعة العلاقات الاجتماعية ، فى عصر ازدهار الرأسمالية والصناعة ، دون الانصراف الى الغيبيات ، والأفكار المجردة »(١) .

وهكذا قادت الحرية الفردية الى الفوضى ، وكان لابد من رد الفعل .

نشأة الاشتراكيات الحديثة وتطورها :

ورد فعل الفوضى هو (النظام) . وقد كان للنظام نصيب فى الفكر الغربى ، الذى ظهر بعدثورةالاصلاح كما سبق ، الا انه كان محصورا فى ألمانيا ، وآن له أن يتعدى حدود ألمانيا ، الى حدود القارة الفسيحة .

ولهذا الفكر الجديد صداه أيضا عند الاغريق ، فقد كان متأثرا هو الآخر بأفلاطون فى (جمهوريته) ، التى كتبها فى ظروف كانت تمر بها أثينا ، شبيهة بتلك الظروف التى مرت بها أوربا بعد ثورة الاصلاح . فقد لوحظ أن (المجتمع المثالى)Utopic ، الذى رسمه السير توماس مورSir Thomas More ، أحد قادة (الانسانية) فى انجلترا سنة ١٥١٥ ، « كان متأثرا بأفلاطون ، سواء فى الاقتصاد الاجتماعى ، أو فى الافكار التربوية »(٢) ، كما لوحظ أن تأثر كتاب القرن الثامن عشر (بمور) كان واضحا ، حتى لقد سموا (بالمثاليين) أو (الطوباويين)(٣) .

---

(١) دكتور عز الدين فودة : خلاصة الفكر الاشتراكى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٦٨ ، ص ١٤ .

(2) HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958, p. 196.

(3) Ibid.; p. 195.

ويبدو أن تأثير (مور) فى ألمانيا ، كان أكثر منه فى أى بلد أوربى آخر .

وكان من أوضح المتأثرين به هناك ، الفيلسوفان الألمانيان : كانت Kant (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) ، وهيجل Hegel (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) ، اللذان كان يعيشان فترة تمزق دولة بروسيا الفتية ، تحت وطأة أحداث القارة ، تماما كما كان أفلاطون يعيش فترة تمزق أثينا . ومن ثم كان محور تفكيرهما يدور حول تزويد (الدولة) بكل وسائل القوة ، التى تتمكن بها من حفظ (النظام) ، وفى ظل (النظام) وحده ، يستطيع الناس أن يعيشوا أحرارا بحق .

و « ينظر الى فلسفة هيجل على أنها القمة التى بلغها تطور المثالية التى كانت فى ألمانيا ، وهذه الفلسفة هى قطعا من أقوى المذاهب الفكرية تأثيرا فى القرن التاسع عشر »[١] .

وكان هيجل يرى أن « الدولة هى (اله يمشى فى الأرض) ، وان الدول أعظم من عهودها ، وأن الحق يجب أن يدعم بالقوة ، بل ان الحق هو القوة »[٢] .

من وحى فلسفة هيجل الجدلية ، كتب كارل ماركس Carl Marx (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) ماديته الجدلية ، وان وقف من أستاذه فى بعض الأحيان موقف المعارض ، فكان يرد عليه ، فيما يعارضه فيه[٣] ، « تماما كما رد أرسطو على أستاذه أفلاطون .

مثال ذلك ، أن هيجل كان يرى أن (الأفكار) أهم من الأشياء ، وأن (الحقيقة) هى المثالية المجردة ، ومن ثم فان المثاليات ، كالقومية ، تخلق مؤسسات ، كالدولة . أما ماركس ، فقد بنى فلسفته على المادية ، التى ترى الأشياء اهم من الأفكار ، وترى المؤسسات ، كالدولة ، هى التى تخلق

---

(١) عصر الأيدولوجية ـ مجموعة من المقالات الفلسفية ، قدم لها : هنرى د . أيكن ـ ترجمة الدكتور فؤاد زكريا ـ مراجعة الدكتور عبد الرحمن بدوى ـ رقم من (٤٧٩) من (الألف كتاب) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٣ ، ص ٨٩ .

(٢) هـ.أ.ل. فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث (١٧٨٩ـ١٩٥٠)ـ تعريب احمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع ـ (جمعية التاريخ الحديث)ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٨ ، ص ٢٠٣ .

(3) LLOYD, CHRISTOPHER : Democracy and Its Rivals, An Introduction to Modern Political Theories; Longman, Green and Co., London, 1940, p. 148.

المثاليات • ومن ثم بنى فلسفته على الثورة على النظم القائمة للسيطرة عليها ، والقضاء على مظاهر الفساد فيها ، وخلق (المثاليات) بعد ذلك »[١] •

وثمة مفكر اشتراكى ألمانى آخر ، تأثر ماركس من خلاله بهيجل ، وهو صديقه وشريك كفاحه فردريك انجلز Frederick Engels (١٨٢٠ ــ ١٨٩٥) ، الذى ولد ونشأ فى مقاطعة الراين ، « أكثر أقاليم بروسيا تقدما » ، « وأكثرها تأثرا بأفكار مارتن لوثر »[٢] ، والذى تأثر كثيرا بفلسفة هيجل ، الا أنها كانت ــ فى نظره ــ أقرب الى (المثالية) ، بينما نزع هو فى نهاية دراسته الفلسفية الى (المادية) [٣] ــ والذى « اعتمد بطرق مختلفة على مساعدته فى أثناء كتابته (رأس المال) وغيره »[٤] ، والذى أتم أعماله بعد موته ، خاصة الجزءين الثانى والثالث من كتابه (رأس المال) [٥] ــ توراة الشيوعية المعاصرة •

ورغم ذلك ، فقد نسبت تلك الفلسفة المادية الى اثنين ، هما ماركس ولينين ، فصارت تسمى بالماركسية ــ اللينينية •

وهكذا ، « برزت المادية التاريخية لدى ماركس وانجلز أول الأمر ، ممثلة لرد فعل عنيف ، سياسى وفلسفى ، على حالة اجتماعية قائمة : المجتمع الرأسمالى الأوربى فى القرن التاسع عشر •

كانت السمة الغالبة على ذلك المجتمع وجود طبقتين اجتماعيتين متعاديتين ، طبقة بورجوازية رأسمالية ، مستحوزة على ركائز الانتاج والاقتصاد والمال والسياسة ، وطبقة كادحة ، صناعية أو زراعية أو حرفية ، خاضعة لسيطرة الطبقة الأولى » و « كان الدين الذى تمثله الكنيسة ، على حظ كبير من القوة والتأثير ، بل بدا وكأنه حليف للرجعية والسلطة » •

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية •• فى المجتمع الشيوعى » ــ الفصل الخامس من : **فى التربية المقارنة** ــ الطبعة الأولى ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٤ ، ص ١٩٧ •

(2) ILYICHOV, L. F. and others : Frederick Engels, A Biography; Progress Publishers, Moscow, 1974, p. 16.

(3) Ibid., PP. 24,25.

(4) Ibid., P.9.

(5) Ibid., p. 368.

« ولكن الماركسية لم تقنع بالهجوم على صورة معينة لكنيسة رجعية ، لم تستطع أن تكيف نفسها مع تطور ظروف المجتمع التاريخية ، وانما عملت على أن تدمر أسس الاعتقاد الدينى ذاتها تدميرا »[١] .

وهكذا نبتت الاشتراكيات الحديثة ، فى مناخ القرن التاسع عشر ، فى أوربا ، فى وقت كانت الرأسمالية التى تفجرت فى أوربا بعد الاصلاح الدينى بها ، قد وصلت الى حالة من الافلاس ، نتجت عن فساد العقيدة المسيحية فى الغرب ، فلم تعد هذه العقيدة بقادرة على أن تفسر العالم للانسان الأوربى ، تفسيرا يقبله عقله أو ضميره ، أو حسه الدينى ، فجاءت تلك الاشتراكيات الحديثة .. لتسد ذلك (الفراغ) .

ويرى جالبريث أن أفكار ماركس الاشتراكية ، كانت أكثر اقناعا من أفكار سابقيه من الفلاسفة الاشتراكيين ، وذلك لأن ماركس نفسه كان « قبل كل شىء ، على جانب كبير من المعرفة ، وكانت أهدافه هى أهداف رجل ثورى ، ولكن أدواته ووسائله ، كانت أدوات العالم »[٢] .

وكان كارل ماركس نفسه ، « يرى النظريات السابقة ، مستمدة من فكرة العدالة والمساواة والاخاء فى النظام الاجتماعى » ، « فالنظريات السابقة نظريات مخترعة ، أما كارل ماركس ، فيقول بأن نظريته وليدة النظام الرأسمالى الحاضر » [٣] .

وبهذه الثقة الكاملة فى نظريته ، وفى فرص نجاحها ، انتهز فرصة ثورات ١٨٤٨ ، التى اجتاحت أوربا فى ذلك العام ، وألف (البيان الشيوعى) Communist Manifesto ، ليكون من عوامل زيادة اشتعال هذه الثورات ، لما فيه من تحريض للطبقة العاملة (البروليتاريا) ، على أصحاب الأعمال الرأسماليين المستغلين ـ وكان واثقا تماما من أن هذه الثورات لابد محققة مجتمعه المثالى الذى يحلم بتحقيقه ، كما حلم الفلاسفة الاشتراكيون قبله .

ولكن ثورات عام ١٨٤٨ فشلت ، وبذلك خابت آماله ، وزاد من خيبة أمله ، طرده « من ألمانيا ، حيث سافر الى باريس ، وقابل هناك الفيلسوف

---

(١) الدكتور أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٢) جون كينيث جالبريث : أضواء جديدة على الفكر الاقتصادى ـ ترجمة الدكتور خليل حسن خليل ـ مراجعة الدكتور سعيد النجار ـ دار المعرفة ـ ١٩٦٢ ، ص ٨٩ .
(٣) الدكتور عبد الحليم الرفاعى : الاقتصاد السياسى ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٣٦ ، ص ٥٨ .

الألمانى فردريك انجلز F. Engels (١٨٢٠ ـ ١٨٨٥) الذى كان قد أمضى فى انجلترا بعض الوقت ، متصلا بالاشتراكيين الانجليز ٠

وفى سنة ١٨٤٩ ، طرد ماركس من باريس ، فذهب الى بروكسل ، وبصحبته زميله وصديقه انجلز »[١] ٠

وقضى ماركس بقية حياته فى تهذيب (البيان الشيوعى) ، « وفى عام ١٨٦٧ ، نشر الجزء الأول من كتابه (رأس المال) ، ثم قام انجلز باصدار الجزءين الثانى والثالث ، فى عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٥ على التوالى ، بعد موت المؤلف ، ويتضمن المجلد الأول جوهر تعاليم ماركس »[٢] ٠

وكان ماركس يحلم ، بأن تتفجر ثورته الشيوعية فى انجلترا ، أكثر البلاد الرأسمالية تقدما فى ذلك الوقت ، ولكن القدر كتب لها أن تتفجر فى أكثر البلاد تخلفا فى ذلك الوقت ٠٠٠ هناك فى روسيا القيصرية ٠

وسهر على تطبيق الماركسية فى روسيا بعد الثورة البلشفية ٠٠٠ ف ٠ ا ٠ لينين V. I. Lenin (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤) ، والى الرجلين ـ ماركس ولينين ـ صارت الاشتراكية الحديثة أو العلمية أو الشيوعية ، أو الماركسية ـ اللينينية ، تنسب ٠

ومن الاتحاد السوفيتى انتقلت الشيوعية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، الى بلاد أوربا الشرقية ٠

وهدمت الشيوعية كل أساس قامت عليه الرأسمالية ، فصادرت الحرية السياسية ، وألغت الملكية الفردية ، وحاربت الأديان السماوية ، واعتبرتها من أسباب تخلف الشعوب ، وأنكرت وجود الله ، وجعلت للناس الها جديدا ، هو الدولة ، وعلى رأسها رئيسها بطبيعة الحال ٠

وأدت هذه (الجماعية) بالاتحاد السوفيتى ، الى أن يكون القوة الثانية فى عالم اليوم بلا منازع ، فى أقل من نصف قرن من الزمان ، فسبقت روسيا بذلك بلادا سبقتها على طريق التقدم ، باكثر من مائتى سنة ، كانجلترا وفرنسا ٠

---

(١) على أدهم : حقيقة الشيوعية ـ تقديم جمال عبد الناصر ـ المكتب المصرى الحديث ، ص ١٨ ٠

(٢) جورج سول (مرجع سابق) ، ص ٩٥ ٠

« ففى عام ١٩١٣ ، كان نصيب روسيا القيصرية من الانتاج الصناعى العالمى يزيد قليلا عن ٤٪ » ، « أما الآن ، فالصناعة السوفيتية تمثل حوالى ⅕ الانتاج العالمى ، رغم أن البلاد لاتمثل أكثر من ١/١٣ من سكان العالم .

ولا يمكن مقارنة المستويات الحالية للثقافة والتعليم ، بما كانت عليه منذ خمسين سنة » ، فقد « أصبح عدد الاخصائيين المستخدمين ذوى المؤهلات الجامعية والعالية أكبر ٦٣ مرة من المستوى السابق .

وكان الاتحاد السوفيتى أول بلد فى التاريخ يرسل رجلا الى الفضاء ، مما يشهد بجلاء ، على المستوى العالى للعلم والتكنيك والتعليم ، هناك » [١] .

ولقد كانت هذه الانجازات هى التى حدت بالدارسين والباحثين الى دراسة الشيوعية ، وجعلت من الاشتراكية[٢] مطلبا عزيزا تسعى اليه دول العالم الثالث ، لتختصر طريقها الى المستقبل ، بعد أن ضيع الاستعمار عليها الكثير من الفرص فى الماضى .

ورغم ذلك ، فان الانسان المنصف لا يملك الا أن يسأل نفسه :

لمصلحة من هذا التقدم ؟

ان (الانسان) كان – ولا يزال – الهدف لأى نشاط يقوم به المجتمع ، والمحور الذى يدور حوله تفكير الدولة ، واذا افتقد الهدف ، وضاع المحور كان ذلك أكبر دليل على فساد (النظام) .

وقد تضطر الدولة الى أن تضيق على المواطنين ، وقد تطلق لنفسها اليد فى شئون الوطن والمواطنين ، كما يحدث فى فترات الحرب ، بيد أن ذلك كله يكون (اجراء مؤقتا) ، والى حين ، أما أن يتحول الى (أسلوب حياة) ، فتلك هى الكارثة .

---

(١) ف. يليوتن : التعليم العالى فى الاتحاد السوفيتى – ترجمة محمود حشمت – دار يوليو للنشر ، ص ١٠ – من المقدمة .

(٢) فى الحقيقة أننا نستخدم (الشيوعية) هنا تجاوزا ، فالشيوعية فكرة مثالية لم توجد بعد ، والشيوعيون المعاصرون أنفسهم يعتبرون أنفسهم اشتراكيين ويرون انهم فى الطريق الى الشيوعية .

وعندما تكون (الدولة) هدف الأهداف على هذا النحو ، فان المقصود بها يكون رئيسها ، الذى (يستبد) بكل شىء ، والذى يعبد ويؤله فى حياته .
وما أن يزاح من مكانه ، بالموت ، أو بأية صورة من صور التآمر عليه ، فانه ينزل من عليائه ، الى حضيض ، ليحتل مكانه من أتى بعده .

كان لينين أول رئيس للدولة السوفيتية بعد الثورة البلشفية ، ولازال قبره مزارة للروس ، ولكل زائر للاتحاد السوفيتى .

وعندما مات لينين ، وتولى بعده ستالين ، « أعدم ستالين جميع أعضاء أول مجلس ادارة للحزب ، اجتمع بعد وفاة لينين ، وأجمع على انتخاب ستالين .

وأعدم كل وزراء لينين ، واتهمهم بالخيانة .

وأعدم ٨٠ بالمائة من سكرتيرى اتحادات العمال ، الذين اجتمعوا وباركوا انتخابه .

وأعدم ١٥ عضوا من الـ ٢٧ عضوا ، الذين تألفت منهم اللجنة التى وضعت دستور ١٩٣٦ .

وأعدم ٤٣ سكرتيرا من الـ ٥٣ سكرتيرا ، الذين يشرفون على تنظيمات الحزب الشيوعى .

وأعدم ٧٠ من ٨٠ عضوا من أعضاء مجلس الدفاع السوفيتى .

وأعدم (٣) ثلاثة مارشالات من (٥) مارشالات فى الجيش الاحمر .

وأعدم ٩ وزراء من الـ ١١ وزيرا ، الذين كان يتألف منهم مجلس وزرائه عام ١٩٣٦ .

وأعدم ٦٠ بالمائة من قواد الجيش الأحمر ، و ٣٠٫٠٠٠ ثلاثين الف موظف من موظفى الحكومة »[1] .

وعندما يستطيع رجل واحد ان يفعل ذلك كله ، فانه لابد أن يعبد فى النهاية .

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى (مرجع سابق) ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

ولقد ظل ستالين بالفعل « يعبد بالقول وقتا يكاد يبلغ نصف قرن » ، كان فيه « يسمى (زعيمنا ومعلمنا العظيم) ، و (حامل لواء العلم والموسيقى)، و (أعلم علماء زمانه) ، و (أعظم رجل فى الدهر كله) ، وما الى هذه الألقاب الضخمة » [١] ٠

ومات ستالين ، وخلفه خروشوف ٠

وهبط ستالين ـ بموته ـ من عليائه ، فقد « أزيلت تماثيله من الميادين العامة ، ونقل جثمانه من جوار جثمان لينين فى الكرملين ، وأعيد كتابة الكتب المدرسية ، لتخليصها من عناصر التقديس الشخصى ، وتقديس ستالين »[٢] ٠ وصار « يوصم الآن بأنه (مستبد ، غاشم ، معذب ، سفاح ، مصاب بجنون العظمة وبالشذوذ الجنسى ، ومزور للتاريخ »[٣] ٠

وهكذا تحولت الاشتراكية المتطرفة (الشيوعية) الى (عبادة) فرد ، وعندما يعبد الفرد ، يقتل (الانسان) فى كل نفس ٠ واذا قتل (الانسان) ، فقد قتل المجتمع ٠

ولقد نجح ستالين فى الاتحاد السوفيتى فى القضاء على معارضيه فى داخل الاتحاد السوفيتى ، وضحى بالملايين فى تطهيره للجيش الأحمر من تروتسكى وأعوانه ومناصريه ، سنة ١٩٣٧ ، وفى اقامة المزارع الجماعية ، وفى تأميم الصناعات ، وبمناسبة وبغير مناسبة ٠ ولكن ما أن « زحفت جيوش هتلر على الروسيا ، انتشر التذمر انتشارا واسعا فى صفوف الجيش ، وظهر فيها عدم الولاء واضحا ٠ وليس فى مقدورنا أن نعرف بالدقة عدد الجنود الذين فروا من جنود الجيش الأحمر ، خلال الشهور الأولى من الحرب الوطنية الكبرى » ، « ولكن التقديرات المعتدلة ترفع هذا العدد الى مليونين أو ثلاثة ٠ والحق أن التاريخ قلما يروى أمثلة للفرار الجماعى الى صفوف الأعداء ، والمعركة حامية الوطيس ، كالتى يرويها عما حدث فى ذلك الوقت »[٤] ٠

---

(١) جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتى ـ ترجمة محمد بدران ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٤٢٦ ٠

(٢) الدكتور محمد منير مرسى : الاتجاهات المعاصرة فى التربية المقارنة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٤ ، ص ١٦١ ٠

(٣) جورج كاونتس (المرجع الأسبق) ، ص ٤٢٦ ٠

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٧٠ ٠

بين الراسمالية والاشتراكية :

رغم ما بين الأيديولوجيتين المعاصرتين ، اللتين تتقاسمان عالمنا المعاصر ، من أوجه تناقض ، فان قليلا من التفكير يردهما الى أصل واحد ، هو أن كلا منهما تنظر الى الانسان على أنه (حيوان) .

وكل منهما تعاملت مع هذا (الحيوان) ، من وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر الأخرى ، فكان هذا التناقض الظاهر بينهما .

وكل منهما انتهزت ذلك (الفراغ) العقائدى ، الذى ظهر فى الغرب ، بعد ثورة الاصلاح الدينى به ، فأرادت أن تسد ذلك الفراغ ، فاذا بها تزيده .

لقد كانت كل منهما أشبه برد فعل ، ورد الفعل يتسم دوما بعدم الثبات والاستقرار ، وهو قد يصلح لحل مشكلة ما فترة من الوقت ، ولكنه لا يصلح لحلها طول الوقت .

ومن ثم فكل منهما ، لا ترقى الى درجة العقيدة ، فى شمولها واتساعها .
ومن ثم - أيضا - فكل منهما قد توفر حاجات الانسان المادية ، ولكنها تعجز تماما عن أن توفر له الطمأنينة والسعادة الروحية ، و (ليس بالخبز وحده يحيا الانسان) - على حد تعبير السيد المسيح[1] .

والأيديولوجيا الرأسمالية تختلف - بعد ذلك - عن الأيديولوجيا الشيوعية ، فى أنها تطلق لهذا (الحيوان) العنان ، يفعل ما يشاء ، بينما الأيديولوجيا الشيوعية تضع فى يد هذا (الحيوان) الأغلال .

فالانسان - فى نظر الرأسمالية - لا يحطم حياته الا الكبت ، على حد تعبير الصهيونى سيجموند فرويد Sigmond Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩) ، صاحب نظرية التحليل النفسى الشهير ، التى كانت تقف وراء ما انتشر فى الغرب من موجات تحلل عارمة - تحلل من كل قيمة ومثل أعلى .. ومن ثم يجب ألا تكبت رغباته ، ولابد أن تجد سبيلها الى التحقق .

وعلى رأس هذه الرغبات أو الغرائز ، فى نظر فرويد ، غريزة الجنس ، فقد نظر « الى (الغريزة الجنسية) ، وهى غريزة حيوانية صرف ، على أنها الموجه لما عداها من غرائز ، وعلى أنها المفسر للسلوك الإنسانى كله »[2] .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى - ١ : الاصحاح الرابع : ٤ .
(٢) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ١٨٣ .

ويرى الدكتور صـبرى جرجس ، أنـه « من الواضـح أن نظرية الغـرائز ومفهوم اللبيـدو ، عنـد فرويـد ، لم يكن ليتيسر ظهـورهما ، الا فى نطـاق الافتراض بأن الانسان حيوان بشرى ، وأن الذى يقرر سلوكه الى حد كبير هـو الأساس البيولوجى لتكوينه · وطاقة الجنس فى هذه الغرائز ، أى اللبيـدو ، هى القـوة الغـالبة ، الطـاقة الكبرى والمحركة للحيـوان البشرى ، نحـو النشـاط والتحقيق ، فى كل ما يعرف من وجوه النشاط ، وكل ما يمكن أن يصـل اليه من ضروب التحقيق »(١) ·

وخشية الكبت ، انطلق الحيوان الرأسمالى ، يشبع كل غرائزه وشهواته ، وينطلق فى مجال الجنس ـ بصفة خاصة ـ يحلل كل محرم ، ويرتكب ما لا تقبله النفس ، وما تعافه من غرائب الأعمال ، ويحطم ويدمر ـ حتى القتل فى المجتمعات الغربية الرأسمالية ، صـار فنونا وألوانا ، لكل منهـا موسـم من المواسـم ، فموسم للشقراوات من فاتنات السينما ، وموسم لقتل كبار السن ، وموسم لقتل الآباء والأمهات ، وهكذا ·

وفى مثل هذا الجو ، الذى لا يمكن أن يحس فيه الانسـان (بانسانيته) ، يكون الضيق بالحياة هو مطلب المطـالب ، فتـكون أكبر نسبة انتحار فى العالم هى تلك النسبة التى تسجلها حوادث الانتحار فى أغنى بلاد العـالم المعـاصر ـ البلاد الرأسمالية ·

ذلك أن (الانطلاق) من كل قيـد ليس مطلبا (انسانيا) بقـدر ما هـو مطلب حيوانى صرف · وقـد يكون المطلب الانسـانى الحق ·· هـو (التقيد) بالمثل الانسانية العليـا ·· ان وجـدت تلك المثل ، وقلمـا توجـد فى مجتمـع يقيم أيديولوجيته على اشباع كل شهوة(٢) ·

وعلى العكس مما تفعله هذه الأيديولوجيا الرأسـمالية من اطـلاق العنـان لحيوانهـا البشرى ، تفعل الأيديولوجيا الشـيوعية ، حين تغل هذا (الحيوان) بكل قيـد ، وتسلط عليه نيران حقـدها وبطشـها وجبروتها ، ان هـو حـاول الفكاك من هذا القيـد ·

---

(١) دكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى ، أضواء على الأصول الصهيونية لفكر سجمند فرويد . ـ الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٠ ، ص ٢٥١ ·

(٢) اعترفت الكنيسة البروتسـتانتية فى انجلترا مؤخـرا بزواج الرجـل بالرجل ، وصار لهذا الزواج مراسيمه فى تلك الكنيسة ، كزواج الرجل بالمرأة تماما ·

ومرة أخرى ، فقد كان يقف وراء هذه الأيديولوجيا صيهونى آخر ، هو كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ، الذى سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن نشأة الاشتراكيات الحديثة وتطورها[١] ٠

ولذلك لم يكن غريبا أنه« على أثر قيام الثورة الشيوعية فى سنة ١٩١٧ ، حكم روسيا مجلس مكون من عشرة أعضاء ، كان بينهم ستة من اليهود »[٢] ، فقد « اخترع اليهود الشيوعية ، ليتخذوها وسيلة للتغلب على العالم ، والوصول الى السيطرة وتسخير الموارد العالمية وفق أهوائهم »[٣] ٠

وهكذا يبدو الخطر الداهم وراء الأيديولوجيات المعاصرة ، المنتشرة فى الشرق والغرب على السواء ، فهى من صنع اليهود الصهيونيين ، الذين يحاولون السيطرة على العالم كله ، شرقه وغربه ، سواء بتحطيمه من الداخل ، كما يفعلون فى الغرب ، أو باحكام القبضة الحديدية عليه ، كما يفعلون فى الشرق ، « وليست مصادفة أن فرويد ، القائل ببهيمية الانسان ، وماركس ، القائل ببهيمية التاريخ ، كلاهما من أصل يهودى ٠٠ وكلاهما أوقعانا فى تبسيط ساذج ، أحدهما لخص الانسان فى حافز جنسى ، والآخر لخص التاريخ فى عامل اقتصادى ، وهذا التبسيط المخل لحقائق ، هى بطبيعتها شديدة التعقيد والتداخل ، أضل الفكر ولم يهده ٠

وان كان لابد من قانون عام يهدى الفكر ، فى هذه المتاهات ، فليس أمامنا الا القانون الأزلى (الدين) ، الذى أثبت صدقه المطلق فى تبسيط الانسان ، كفرد وأمة وتاريخ ، والذى فهم الانسان جسدا وغريزة ، وعاطفة وعقلا »[٤] ٠

واذا كانت الصهيونية قد استطاعت أن تجد (فراغا) عقائديا فى الغرب ، بعد ثورة الاصلاح الدينى سنة ١٥١٥ ، بحيث استطاعت منه أن تتسلل بافكارها السامة هذه ، لتعكس على الانسانية هناك أحقاد بنى اسرائيل ٠٠ فهل ذلك (الفراغ) العقائدى موجود لدينا ، هنا فى الشرق الاسلامى ، لتجد منه الصهيونية منفذا ؟ ٠

ذلك ما سوف نجيب عليه فى الفصل الخامس والأخير من هذا الكتاب الأول ٠

---

(١) ارجع الى ص ٨٤ - ٨٦ من الكتاب ٠
(٢) على أدهم (مرجع سابق) ، ص ١٥٤ ٠
(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ ٠
(٤) مصطفى محمود : الماركسية والاسلام - دار المعارف بمصر - ١٩٧٥ ، ص ٣٠ ٠

لقد أفلست الأيديولوجيات المعاصرة فى حل مشـــكلة (الانســـان) العقائدية ، مهما حاولت أن ترتقى الى مرتبة العقيدة ، لأنها عاجزة عن الوصول الى مستواها ، ولأنها تعالج أخطر قضايا (الانسان) المعاصر ·· على أنـه (حيـوان) ·

والانسان - مهما بلغت به درجة الانحطاط - لايقبل أن يوصف بالحيوانية ، لأنهـا ليست الا جانبا واحـدا من جوانب حيـاته البشرية ، هو أضـعف هذه الجوانب ·· والانسان يرفض لا شعوريا جوانب الضعف فيه ·

ومن هنا كان (افلاس) الأيديولوجيات المعاصرة ·· وكان الـوقت مناسـبا ، كما كان دائما ، لقبول أيدبولوجيا ··· الاسـلام ، (لسـد) ذلك الفراغ العقائدى الكبير ، الذى يعانى منه الانسان المعاصر ·

الفصل الخامس

العقيدة الاسلامية ٠٠ والحياة الانسانية
فى القرن العشرين

مأساة الحياة فى القرن العشرين :

لعله يتضح من حديثنا عن (الأيديولوجيات المعاصرة) ، فى الفصلين الأول والرابع ، ان هذه الأيديولوجيات ، جاءت لتحل مشكلة واحدة ، من مشكلات الانسان ، لتسد ـ بحلها ـ ذلك (الفراغ) العقائدى الذى بدأ يفرض نفسه على الحياة فى الغرب المسيحى منذ العصور الوسطى ، وهذه المشكلة هى مشكلة علاقة الانسان بمجتمعه ٠

وكان هناك منحيان اثنان ، رأتهما هذه الأيديولوجيات ، نحت الرأسمالية المنحى الأول منهما ، وهو أن (الفرد) أساس المجتمع ، ومن ثم أطلقت للفرد فيها مختلف الحريات ، ونحت الشيوعية المنحى الثانى منهما ، وهو أن (المجتمع) هو الأساس ٠

وكان الجانب السياسى ، هو الذى غلب على المشكلة فى الغرب الرأسمالى ، بينما كان الجانب الاقتصادى هو الذى غلب على المشكلة فى الشرق الشيوعى ٠

وكان الانسان فى الغرب الرأسمالى ـ كما سبق ـ حيوانا سياسيا ، بينما كان فى الشرق الشيوعى ـ كما سبق أيضا ـ حيوانا اقتصاديا ٠

وفى اطار هذا (الحيوان) ظهرت النظريات ٠٠ السياسية والاقتصادية ٠

وكانت النظرية السياسية التى شاعت فى الغرب هى الديمقراطية ، والتعريف الأكثر شيوعا لها ، هو أنها أسلوب الحكم ، الذى يقوم على احترام

الفرد ، والمساواة بين المواطنين ، واعطاء أكبر قدر ممكن من الحرية ، بما لا يتنافى مع الصالح العام ، والتعاون فى سبيل رفاهية الجماعة (١) .

وهذا التعريف للديمقراطية ، شأنه شأن غيره من التعريفات .. مرن ، بحيث يجمع – على حد تعبير هانز – بين المتناقضات ، فهو يجمع بين الديمقراطية الغربية ، القائمة على حرية الفرد ، وعلى احترام هذه الحرية ، وبين الديمقراطية الشرقية ، القائمة على مصلحة الجماعة ، أو على الديمقراطية الجماعية ، المبنية على الاقتصاد الاشتراكى ، وعلى احتكار الدولة(٢) .

ولذلك فهو يرى أن كلا التفسيرين للديمقراطية خطأ ، اذ أنه يجب أن تبدأ الديمقراطية من الحرية الفردية ، أو من المساواة الاجتماعية ، على أن تسير الى الجانب الآخر ، لأن كلا منهما لو طبق وحده ، لا يفى بالغرض(٣) .

واذا كانت (النظرية) السياسية تعنى مدى (القيود) المفروضة على الفرد ، أو (الحريات) الممنوحة له ، فى حياته الخاصة والعامة ، فان (النظرية) الاقتصادية هى الأخرى « مسألة قيود أو لا قيود . أو المسألة بعبارة أخرى تتوقف على مقدار تدخل الحكومات بسياستها فى تقييد المعاملة ، داخل البلاد وخارجها »(٤) .

وبينما كانت هذه (القيود) كثيرة وثقيلة .. فى الشرق الشيوعى ، كانت (الحريات) كثيرة ووفيرة .. فى الغرب الرأسمالى .

ولم تستطع الحريات أن تحل مشكلة الانسان الغربى ، كما لم تستطع القيود أن تحل مشكلة المجتمع الشيوعى ، وانما صارت الحريات الغربية

(1) ORGAN, TROY : "The Philosophical Bases of Integration". THE INTEGRATION OF EDUCATIONAL EXPERIENCES, The Fifty-seventh Year — book of the National Society for the Study of Education; Chicago, Illinos, 1958, p. 40.

(2) HANS, NICHOLAS; Op. Cit., p. 235.

(3) Ibid., p. 237.

(٤) ب . ج . وودز : التعاون الاقتصادى وأساليبه – الكتاب الثانى من سلسلة (كتب الناقوس) – مراجعة وتقديم عباس محمود العقاد – مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١٠ (من المقدمة ، للأستاذ عباس محمود العقاد) .

والقيود الشيوعية ، هى محور مأساة الغرب والشرق على السواء ، لأنهـا قامت على أساس نظريات أخطات فى مقدماتهـا ، ومن هنـا كان خطـؤها فى نتائجها .

وقد أخطات هذه النظريات ـ كما رأينا فى الفصل الرابع ـ لأنها قامت جميعا على افتراض أن الانســـان (حيـــوان) ـ وكان هنـــا مكمن الداء فيها .

« ان الرأسمالية والشيوعية قد قيدتا الانسان بأغلال المادة ، والكنيسة المتحجرة ، بتأثير قرون من القطيعة الرجعية ، تتشبث فى مشقة بتيار التاريخ، وضمير المسيحيين يفلت منها يوما بعد يوم على رءوس الأشهاد . والرأسمالية قد أنهكها رخاؤها ، فانتهت الى فلسفات وجودية مهجنة من الارتيابية ، ومن اللذات الزائفة . والشيوعية تذرعا بالحجة المشروعة ، وهى تحرير الانسان ، قد سلبته الحرية الحقيقية ، حرية الفـكر ، وانتهت الى علمية عـدمية ، والى فلسفة قوامها الكراهية ، والتكيف مع البيئة »[1] .

ومن ثم فان الانسان الغربى ، الراسمالى والشيوعى على حد ســواء ، « باغلاقه آفاق الايمان ، قد أخذ يدور داخل هذه العبودية ، ذات الطـــلاء الذهبى ، التى كان يحسبها الحرية ، والتى فيها تؤكد الرأسمالية والشـيوعية دعوى واحدة ، ألا وهى حقوق الانسان في أن يكون على كل شىء قديرا »[2] .

ولما كان الانسان ـ بطبيعته ـ عاجزا ، مهما بدأ مقتدرا ، امام قـدرة الله ، فقد شوهت معالم صورته الكريمـة ، التى أرادها له ربه ، يوم كرمـه واستخلفه ، وجعلقمة تحرره فى عبوديته لله ، عبودية يعرف بها قدر نفسه ، وامكانيات هذه النفس ، ومنتهاها .

ومن هنا كان سيره ـ فى ظل الأيديولوجيات الحديثة ـ اعمى ـ فى طريق عبـــودية أرادها لنفســـه ، يـوم ضل طريقه الى ربه .. وهو يعزف فى طريقه اليها لحن الحرية .. المزعومة .

ان الشيوعية والرأسمالية معا « هما صورتان مختلفتان لمادية غربيـة واحدة ، تتعارضان فى كيفية توزيع الثروة ووسائل الانتاج ، والقيم الروحيـة فيهما زحزحت الى المحل الثانى ، أو استبعدت نهائيا . والتنافس عند أولئك

---

(١) الدكتور أحمد عروة (مرجع سابق) ص ١٩١ ، ١٩٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

وهؤلاء مقصور على طيبات الأرض »(١) ، ومن هنـا كان شقاء الآخـذين بهذه أو تلك ، لأن (طيبات الأرض) مطلب الحيوانات العجماوات ، ومطلب جانب واحد من جوانب الانسان ، وهو جانبه الحيواني ٠٠ دون جوانبه الأخـرى : الروحية والنفسية والعقلية ٠

ومن ثم عاش الانسان الغربي في ظل الرأسمالية شقيا تعسا ، رغم أنـه يتمتع بحريته ـ كل حريته ، كما يتمتع ـ في الوقت ذاته ـ بمستوى اقتصادي ومادي ، يحسده عليه الناس في شتى أنحاء الأرض ٠

وعاش الانسان الشيوعي شقيا تعسا ، مسلوبة حريته ، التي قالـوا له : انها متوفرة لديه اكثرمن توفرها في الغرب الرأسـمالي ، رغم أنه يعيش بلا صراع ولا منافسة ، ولا خصومة مع غيره ٠٠ كما يعيش الانسان في الغرب الرأسمالي ، ومن ثم فهو يعيش في ٠٠ جنة الشيوعية ٠٠ المزعومة ٠

الاسـلام وانسان القرن العشرين :

رأينا في الفصل الثالث (٢) ، أن جـوهر العقيـدة الاسـلامية ومحـورها الأساسي ، هو الله سبحانه ، وأن كل ما في هذا الكون مخلوقات للـه ، وأن الانسان ـ في الاسلام ـ يعتبر أرقى هذه المخلوقات ، فهو خليفـة الله في الأرض ، فلهذا الاستخلاف خلق ، وله يعمل ، أو يجب أن يعمل ، وعلى أساس قيامه به يحاسب يوم القيـامة ٠

كما رأينا أن الانسان بطبيعته ، قادر عـلى القيـام بمسئوليات هـذا الاستخلاف ٠

الا أنه ـ بطبيعته أيضا ـ يمكن أن يهبط الى حضيض البهيمية ، التي تهبط به اليها أيديولوجيات القرن العشرين ٠

ومن هنا كان الانسان ـ في الاسلام ـ على حد تعبير المرحـوم عبـاس محمود العقاد ـ « هو انسان القرن العشرين ، ولعل مكانه في هذا القرن أوفق وأوثق من أمكنته في كثير من القرون الماضية ، لأن القرون الماضية لم تلجىء الانسان الى البحث عن مكانه في الوجود كله ، وعن مكانه بين الخلائق الحيـة على هذه الأرض ٠٠ وبين أبناء نوعه وأبناء الجماعة التي يعيش فيهـا منذلك

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٠ ٠

(٢) ارجع الى ص ٦١ وما بعدها من الكتاب ٠

النوع ، وبين كل نسبة ظاهرة أو خفية ينتمى اليها ، كما الجاء الى ذلك كله هذا القرن العشرون »(١) ٠

ولكن ، اذا كان انسان القرن العشرين قد أريد له أن تشوه (شخصيته) ، بتشويه (عقيدته) ، على هذا النحو الذى رأينـاه ، واذا كان بنو اسرائيل ، الذين طالما كادوا (للانسان) ، عبر عصـور الانسـان الطويلة ، هم الـذين أرادوا له أن يعيش كذلك ٠٠ فلابد أن تعلن الحرب على الاسلام ودعاته ، اذا هم أرادوا أن يعيـدوا للانسانية عقيدتها الصحيحة ، ويضـعوا اقدامها من جديد ، على طريق الفطرة التى فطر الله الناس عليها ٠

والمتتبع (للخريطة العقائدية) لعالمنا المعاصر ـ على حد تعبير الأسـتاذ أحمد فراج ـ يتأكد من هذه الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك ٠

ان « الذى يتأمل (الخريطة العقائدية) للعالم ، ويتاح له أن يضع الألوان والظلال فوق هذه الخريطة ، فسوف يجد على الفور أنها كانت تتميز بلونين أساسيين ، هما اللون الاسلامى ، واللون المسيحى ، بالاضافة الى لون ثالث ، يمكن أن نجعله للمناطق الوثنية ٠

فاذا عبر المتأمل لهذه الخريطة العقائدية للعالم ، نحو خمسين سـنة من الزمان ، وأعاد تلوينها ، فسوف يلاحظ أن جانبا ضـخما من اللون الـذى كان ينتسب الى العقيدة المسيحية ، قد تحول الى لون جديد » ، « وأصبح اللون الوثنى أو الالحادى أو الشيوعى ، يزحف على الخريطة بالخطر ٠ فهو أولا يهدد باجتياح اللون المسيحى » ، « وثانيا : يهدد اللون الاسلامى » ٠

« وقد تفهم مبررات الغزو الماركسى للعالم الاسلامى ، اذا أخـذنا فى الاعتبار ـ بين ما يراه البعض عند التحليل ـ الأصول اليهودية الصـهيونية للفكر الماركسى » (٢) ٠

(فشعب الله المختار) فشل فى القضاء على الاسلام ، ثم عاد ففشـل وفشل ٠٠ ولكنه لم ييأس ، فراح يخطط ـ بعد فشله فى غزوه من الداخل ـ لتأليب الدنيا كلها عليه من الخارج ٠

---

(١) عباس محمود العقاد : الانسان ، فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٦ ـ من التمهيد ٠

(٢) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (مرجع سابق) ، ص ٨ ، ٩ ـ من : (دراسة تمهيدية) لأحمد فراج ٠

ولم يكن من قبيل المصادفات التاريخية ، أن يتعرض العالم الاسلامى فى العصور الوسطى ، لمثل تلك الحملات ، من الغرب ومن الشرق على السواء ، فتأتى موجات الحملات الصليبية من الغرب ، من نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ، حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى ، قبل أن تبوء بالفشل ، وتأتى من الشرق - فى نهايات القرن الثالث عشر - حملات التتار ٠٠٠ لتسقط على أيديهم بغداد ٠

فهل كان (شعب الله المختار) ماثلا هناك ، كما هو ماثل فى عالمنا المعاصر ؟

تلك حقيقة،ربماأثبتتها لنا كتب التاريخ ، وأثبتها لنا رجاله ٠

لقد كان الفراغ العقائدى على أشده فى الشرق والغرب على السواء فى ذلك الوقت ، كماسبق فى الفصل الأول[1] ، فهل حاول (شعب الله المختار) سده ، كما حاول سد الفراغ العقائدى الراهن ؟ ٠

والشواهد كلها تدل على أن ذلك (الفراغ) فى عالمنا المعاصر يزداد اتساعا فى ظل الرأسمالية وفى ظل الشيوعية على السواء ، وأن الاسلام وعقيدته ، هو القادر وحده على سد ذلك (الفراغ) ، غير أننا « حين نتحدث عن (الاسلام) ، وتردد فى حديثنا كلمة (الاسلام) ، لا نقصد الى هذا الاسلام (الجغرافى) ، الذى يستظل بلوائه مئات الملايين فى الشرق ، بقارتيه العملاقتين ، وعشرات الملايين فى الغرب ، بعالميه القديم والجديد ، وهم فى كثرتهم الكاثرة ، يجهلون الحقيقة التشريعية للاسلام الصحيح ، ويجهلون مبادئه الفكرية ، وأصوله العقيدية ، وآدابه الخلقية ، ويعيشون فى أمشاج من الأساطير والخيالات ، صنعوها لأنفسهم بجهالتهم ، أو صيغت لهم ، لتتباعد بينهم وبين الاسلام الصحيح »[2] ٠

وانما نحن نقصد (بالاسلام) ، الاسلام فى حقيقته العقائدية ، كما نراه فى الكتاب والسنة ، ونظرته الى الكون والحياة والأحياء ، وتشريعاته التى سنها ليحفظ فيها لله حقه ، وللانسان حقه ، ولكل من خلق الله غير الانسان حقه ٠٠٠ وللمجتمع الانسانى حقه أيضا ٠

ان الاسلام الذى نقصده ، هو الاسلام ، ككتاب نزل من عند الله ، يحدد الاطار (النظرى) لعقيدة الاسلام ، ونظرتها الى الفرد والمجتمع ، وعلاقتهما

---

(١) ارجع الى ص ٣٤ - ٣٦ من الكتاب ٠

(٢) محمد الصادق عرجون : الموسوعة ، فى سماحة الاسلام - المجلد الأول - مؤسسة سجل العرب - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ص ١٦ ٠

بالكون والحياة - وكسنة مطهرة ، حولت هذا الاطار النظرى الى (تطبيق عملى) ، فى حياة المعلم الأعظم عليه الصلاة والسلام ، فكان الاطار النظرى والتطبيق العملى بمثابة الوقود ، الذى دفع بالمجتمع الاسلامى فى طريق الحضارة والمدنية ، وفى طريق كرامة الانسان ، وقوة المجتمع ••• قرونا ستة طويلة ، امتدت من القرن السادس الميلادى ، الى القرن الثانى عشر الميلادى •

الاسلام ••• والرأسمالية المعاصرة :

وجوهر الرأسمالية كما سبق هو حرية الانسان ، حرية لا تعرف القيود والحدود ، ولا تعرف الغايات •• فهى حرية من أجل الحرية وحدها •

وحرية الانسان هى جوهر الاسلام أيضا •

الا أن البون شاسع ، بين حرية وحرية •

فحرية الانسان فى الرأسمالية ، هى حرية حيوان انطلق من عقاله ، فصار يسير على غير هدى ، وهى فى الاسلام حرية (مسئولة) ، يعرف بها الانسان كيف يسير ، والى أين يتجه ؟ •

انها حرية تتصل بجوهر طبيعة الانسان كخليفة لله فى الأرض ، ومكلف برسالة تعميرية وتحضيرية فى هذه الحياة ، سوف يحاسب عليها يوم القيامة •

وهو مطلق الحرية فى أن يقوم بما كلف به ، أولا يقوم به •

وعلى أساس قيامه - أو عدم قيامه - به ، سيكون جزاؤه يوم القيامة :

- ((لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لاانفصام لها ، والله سميع عليم . الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات ، اولئك اصحاب النار ، هم فيها خالدون)) (١) •

وما دامت الحرية - فى الاسلام - تقوم على المسئولية ، فانها لابد أن تؤدى الى خير الفرد ، وخير المجتمع ، فان « الاكراه على الفضيلة لا يصنع

---

(١) قرآن كريم : البقرة - ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ •

الانسان الفاضل ، كما أن الاكراه على الايمان لا يصنع الانسان المؤمن ، فالحرية النفسية والعقلية أساس المسئولية »[١] ٠

وفى اطار هذه (الحرية المسئولة) ، « لم يهمل » الاسلام « خطر النزعات الفردية فى الفساد والافساد ، حين يطلق لها العنان بلا ضابط ، بل نبه الى ذلك فى آيات القرآن الكثيرة ، وجعلها علامة انحراف عن سمت الغاية التى خلق لها الانسان ، وهى عبادة الله عز وجل »[٢] ٠

لقد اعترف الاسلام بذلك الجانب (الحيـــوانى) أو (البهيمى) من الانسان ، فهو جزء من تكوينه ، لا ينفصل عنه ، ولا يمكن أن ينفصـــل عنه ، ومن ثم لم يطلق له العنان كما فعلت الرأسمالية الغربية ، ولم يعمل على تحطيمه ٠٠ بل سعى الى (تنظيمه) ، ووضعه حيث يجب أن يوضع فى حياة الانسان ٠٠ المسئول ذى الرسالة ٠

« ان الاسلام لم يجىء ليخدم غرائز الانسان ، بتوفير ما ترنو اليـــه ، من مطعم وملبس وترف وشهوة ، لم يجىء الاسلام ليعلم الانسان : كيف يعيش حيوانا ، انما جاء ليزكى غرائزه ، ويطور حيوانيته ٠ أو جاء ليخرجه من ظلمة تلك الحيوانية البحتة : ظلمة تفكيرها وشهوتها وغايتها ، والعيش فى قيمها ، الى نور معرفة الله عز وجل ، وما يكشف ذلك النور لبصـــائر المـرء من قيم وحقائق وغايات ومثل عليا » [٣] ٠

وقد أعتمد الاسلام فى (تنظيم) هذا الجانب الحيوانى من الانسان ، على (التربية) ، بأوسع معانى تلك التربية ، فقد أجمع الباحثون على أن الهدف الأعلى للتربية فى الاسلام ، والغرض الأساسى منها ، يتلخص « فى كلمـة واحدة ، هى (الفضيلة) » ، فقد « أجمع فلاسفة الاسـلام على أن التربيـة الخلقية هى روح التربية الاسلامية » ، « فالغرض الأول والأسمى من التربية الاسلامية ، تهذيب الخلق ، وتربية الروح »[٤] ٠

---

(١) محمد الغزالي : خلق المسلم (مرجع سابق) ، ص ٢٧ ٠

(٢) البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاســــلامى ، بين النظرية والتطبيق - مكتبة وهبة ، ص ١١١ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٥ ٠

(٤) محمد عطية الابراشى : التربية فى الاسلام - رقم (٢) من (دراســات فى الاسلام) - يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف - ١٥ رمضان ١٣٨٠ - ٢ مارس ١٩٦١ ، ص ٩ ، ١٠ ٠

وبعبارة أخرى : ان الاسلام يعتمد على التربية وحدها ، فى تنمية ذلك الجانب (اللاشعورى) من الانسان ، المسمى بالروح ، والذى يعتبر مسئولا عن كل تصرفات الفرد ، بحيث تكون هذه التصرفات - لا شعوريا - فى طريق الحق والفضيلة ، اللذين أمر الله خليفته بالسير فى طريقهما .

والاسلام - فى تربيته - ينفذ الى ذلك الجانب اللاشعورى من الانسان ، بالكلمة الطيبة ، والقدوة الحسنة ، وبالعقل والمنطق ، وباثارة المشاعر والاحساسات .. أى بكل سبيل انسانى ممكن ، حتى يصل الى « خلق الوازع الداخلى ، الذى يجعل محاسبة الانسان من ذات نفسه ، فهو يشعر أبدا بالرقابة على تصرفاته ، رآه الناس ، أو كان بعيدا عن أعين الناظرين » (١) .

واذا فشلت التربية فى (تنظيم) هذا الجانب الحيوانى من الانسان ، لم يكن هناك بد من (القوانين) ، التى لا يفيد غيرها فى ردع الحيوانيين والبهيميين من بنى الانسان ، فالله سبحانه وتعالى (يزع بالسلطان ، مالا يزع بالقرآن) ، على حد تعبير الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام .

الاسلام والاشتراكيات المعاصرة :

وجوهر الاشتراكيات المعاصرة - كما سبق - هو تزويد الدولة بكل وسائل القوة .

وفوق سلطة الدولة ... سلطة الحزب (الشيوعى) الحاكم .

« ويمارس الحزب الشيوعى دوره القيادى ، من خلال نظام أجهزة الدولة ، والعديد من المنظمات الجماهيرية ، كالاتحادات التجارية ، والتعاونيات ، وكل منظمات الشباب والرياضة والفنانين والكتاب ، وغيرها من المنظمات . والحزب يوجه مجهودات تلك المنظمات ويديرها ، لتحقيق الهدف الذى يراه » (٢) .

---

(١) الدكتور سعد الدين الجيزاوى : فصول فى تربية الشخصية الاسلامية - رقم (٨١) من (دراسات فى الاسلام) - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة - السنة السابعة - ١٤ مارس ١٩٦٨ ، ص ١٣ .

(2) AFANASYEV, A. : Marxist Philosophy, A Popular Outline; Third Edition, Progress Publishers, Moscow, 1968, p. 295.

ويقوم الحزب الشيوعى بدوره القيادى بطريقة ديكتاتورية ، و « تحت ديكتاتورية البروليتاريا ، لا يملك العاملون حقوقا رسمية ، كما هو الحال فى البلاد البورجوازية »[١] .

وكان لينين ينظر الى ديكتاتورية البروليتاريا هذه ، كما تمارسها « قيادة الحزب الشيوعى ، على أنها عامل حاسم فى نجاح ثورة أكتوبر . لقد كان هو الحزب الذى يرأسه لينين ، والذى كان دائما فى قلب جماهير الطبقة العاملة »[٢] - ومن هنا كان لينين يستطيع من خلاله ، أن يحكم قبضته ، على تلك الجماهير .

وباحكام القبضة على جماهير الشعب ، تتم - فى الشيوعية - قوة الدولة . وبهذه القوة تستطيع أن تتقدم بالمجتمع .

وقوة الدولة هى جوهر الاسلام أيضا .

الا أن البون شاسع بين قوة الدولة فى الاسلام ، وقوتها فى الشيوعية .

ان قوة الدولة فى الاسلام مستمدة من حسن تمثيلها لأبناء المجتمع ، وتعبيرها عنهم ، ورعايتها لمصالحهم ، وسهرها على توفير حرية الانسان وأمنه وطمأنينته .. أما قوة الدولة فى الاشتراكيات المعاصرة ، فهى مستمدة من تكديس السلطات فى أيديها ، ونزع كل قوة محتملة من أيدى الأفراد .

فالدولة فى الاسلام قائمة على أكتاف رعاياها ، أما الدولة فى الاشتراكيات المعاصرة ، فهى تقوم على أنقاضهم وأشلائهم ، وشتان بين قوة تقوم على الأكتاف ، وقوة تقوم على الأنقاض والأشلاء .

وكل من الاسلام والاشتراكيات المعاصرة منطقى مع نفسه .

فالدولة فى الاسلام تحكم مجموعة من بنى (الانسان) ، أما هى فى الاشتراكيات المعاصرة ، فتحكم مجموعة من الحيوانات .

والانسان تسيره ارادته الحرة ، أما الحيوان فتسيره قوة تلهب ظهره .

---

(1) Ibid., p. 291.

(2) POSPELOV, P. N. (Edited by) : Vladimir Ilyich Lenin, A Biography; Second Edition, Progress Publishers, Moscow, 1966, p. 331.

وعلى (لقمة العيش) تسهر الدولة فى الاشــتراكيات المعاصرة ، لتطعم ذلك (الحيوان) ، لأن لقمة العيش هى المعنى الحقيقى (لحريته) .

« وليست الحرية هى أن نجد ما نأكله ، (كما يعرفها بذلك الماديون أصحاب فلسفة المضمون الاجتماعى للحرية) ، فالحيوان يجد ما يأكله . وضــمان الطعام لا يكفى ليجعل من الانسان انسانا » .

« وأمام الخوف والارهاب ، يمكننا أن نتصنع الفضيلة ، ولكن لا يمكننــا أن نكون فضلاء حقيقة ، لأن الخوف يسلبنا الكرامة » .

« وبدون الحرية ، لا أخلاق ولا اخلاص ولا ابداع ولا اتقان ، ولا واجب » فمن أجل أن نلتزم بواجب ، لابد أن نأخذه على عاتقنا ، بكامل حريتنا ، لا لمجرد تكليف من رئيس »(١) .

ومن أجل ذلك كانت الدولة فى الاسلام قوية مهيبة الجانب فى كل نفس مسلمة ، لأنها مستودع قوة مواطنيها ، ولأنها المعبر عن كياناتهم كأفراد .

وهى تستمد قوتها من تعبيرها عن مواطنيها ، وتوفيرها الخير والطمأنينة لهم .. أى من مسئوليتها عنهم .

ولكن الفرد - فى الاسلام - أيضا مسئول عن الجماعة الاســــلامية ، مسئولية الدولة عنها وعنه .

فالفرد - فى الاسلام - « مسئول عن الجماعة ، يعمل ويوجه وينقد ويصحح منفردا ، وضمن فئة ممن يدركون ويستطيعون ، وعليه أن يستنفد فى ذلك كله أقصى قدرته » . « والجماعة مسئولة عن أعضائها وعملها ، على أن لا تطغى على ذات الفرد ، وتسلبه حريته وحقوقه ، بدعوى حمايته أو الوصــاية عليه ؛ كما أن الفرد مسئول عن ذاته ، على أن لا ينسى الجماعة ، فى غمرة حرصــه ؛ واستمساكه بحقوقه ومصالحه القريبة »(٢) .

ومن هنا ارتبط تاريخ الاشتراكيات المعاصرة بالقتل والنفى والتشريد ،

---

(١) مصطفى محمود : الماركسية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٧ ، ٨ .
(٢) الدكتور سيد أحمد عثمان : « المسئولية الاجتماعية فى الاسلام - دراسة نفسية » - **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** - بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس - عالم الكتب - ١٩٧٣ ، ص ٧ .

ومصادرة الأموال والحريات ، لكل مخالف للسلطة ، حقيقة أو تلفيقا ٠٠٠ـ وارتبط تاريخ الاسلام بمحاسبة الحكام على خطأ ارتكبوه ، أو ظن أنهم ارتكبوه ٠٠ محاسبة من (مواطن) عادى من ملايين المواطنين ، الذين تسهر الدولة على حمايتهم ، وتوفير الأمن والطمأنينة لهم ٠

وقد كان خليفة رسول الله ، أبو بكر رضى الله عنه ، يعكس روح الاسلام ، وهو يقول فى أولى خطبه :

« أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » ٠

فهى ولاية تعرف حدودها ، بل تعرف تبعاتها ومسئولياتها ٠

وبالمثل كان عمر ، رضى الله عنه ، معبرا عن هذه الروح أيضا ، وهو يقول للناس :

« ان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى » ٠

وكم كان رضى الله عنه سعيدا ، على شدته ، وهو يسمع واحدا من المسلمين يرد عليه :

« والله لو رأينا فيك اعوجاجا ، لقومناه بسيوفنا » ٠

وكان من وصاياه للوالى ، حين يختاره : « افتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك اثقلهم حملا »[1] ٠

الاسلام بين الرأسمالية والاشتراكية :

يلتقى الاسلام مع الرأسمالية المعاصرة فى أمور قليلة ، من أمور كثيرة ، تتصل بحرية الفرد ، كما يلتقى مع الاشتراكيات المعاصرة فى أمور قليلة ، من أمور كثيرة ، تتعلق بمسئولية الدولة ٠

وهو حين يختلف مع الرأسمالية أو الاشتراكية ، انما يختلف معها ، لأنه ينظر الى الانسان كانسان ، ومن ثم يشرع له على أنه انسان ، بينما هما

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية عمر ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ وزارة التربية والتعليم ــ ١٩٦٨ ، ص ١٤١ ٠

تنظران اليه على أنه حيوان ، ومن ثم تختلفان فيما بينهما ، فى أى حاجات هذا (الحيوان) أهم : حريته ، أم لقمة عيشه ؟

والاسلام لا يغفل الحرية ولا لقمة العيش ، لأنهما لازمان للانسان أيضا ، ولا حياة له بدونهما ، ولكنه يدرك أن الانسان يحتاج ـ الى جانب الحرية ولقمة العيش ـ الى (حاجات) أساسية ، لا (كيان) له بدونها ، ومن ثم اكتمل (المنهج) الاسلامى فى النظرة الى (الانسان) ، وقصرت (المناهج) الأيديولوجية المعاصرة ، فى النظرة اليه ، وتناقضت فيما بينها فى النظرة اليه ، لأنها نظرت اليه على أنه حيوان ، ولذلك قصرت كل منهما فى النظر حتى الى هذا (الحيوان) ـ كما يبدو فى التناقض الشديد بينهما ٠

« ولهذا يخطىء من يتصور الاسلام راسماليا ٠

ويخطىء من يتصور الاسلام شيوعيا ٠

ويخطىء من يتصور الاسلام وسطا حسابيا بين النظامين ، أو تلفيقا بينهما »[1] ٠

انـه كيان مستقل ، متكامل ، لا نظير له فى منهج من مناهج الانسان ، ولا نظام من نظمه ٠

انه « منهج عملى واقعى ، يقيم المجتمع على العقيدة والخلق ، ويحرسه بالتشريع والنظام ، ويحول بينه وبين الانحراف والفساد ، باقامة جماعة واعية ، تدعو الى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر »[2] ٠

وهكذا أفلست الأيديولوجيات المعاصرة ، لأنها أقامت نفسها على (المادة) وحدها ، وأغفلت ما هو أهم من المادة فى حياة الانسان ، وهو (الروح) ، التى تعتبر محور (كيانه) كله ٠

ومن حيث أفلست الأيديولوجيات المعاصرة ، وجد المسلمون فى عقيدتهم الاسلامية كل ما يملأ فراغ حياتهم ٠٠ وجدوه فى عصور قوتهم وازدهارهم ، مثلما وجدوه فى عصور ضعفهم وتخلفهم ٠٠ وذلك لأنها

---

(١) مصطفى محمود : الماركسية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٧٢ ٠

(٢) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ص ٦٧ ، ٦٨ ٠

« عقيدة حسية روحية ، كما ينبغي أن تكون كل عقيدة ، يؤمن بها كائن حي عاقل ، له جسد وروح ٠٠٠ »(١) ، ومن ثم فانه « فى هذا العصر ، الذى تتصارع فيه معانى الحياة ، بين الايمان والتعطيل ، وبين الروح والمادة ، وبين الأمل والقنوط ، تلوذ الجماعات الاسلامية بعقيدتها الاسلامية المثلى ، ولا تخطىء الملاذ ٠٠ لأنها عقيدة تعطيها كل ما يعطيه الدين من خير ، ولا تحرمها شيئا من خيرات العلم والحضارة »(٢) ٠

انها عقيدة اليوم ، مثلما هى عقيدة الغد ، ومثلما كانت عقيدة الأمس ، لأنها عقيدة (الانسان) حيث كان ، والاسلام – كعقيدة – « منهج الهى للحياة البشرية ، يتم تحقيقه فى حياة البشر ، بجهد البشر أنفسهم ، فى حدود طاقتهم البشرية ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة ، ويبدأ العمل من النقطة التى يكون البشر عندها ، حينما يتسلم مقاليدهم ، ويسير بهم الى نهاية الطريق ، فى حدود طاقتهم البشرية ، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة ٠

وميزته الأساسية : أنه لا يغفل لحظة ، فى أية خطة ، وفى أية خطوة ، عن فطرة الانسان ، وحدود طاقته ، وواقع حياته المادى أيضا ٠ وأنه – فى الوقت ذاته – يبلغ به – كما تحقق ذلك فعلا فى بعض الفترات ، وكما يمكن أن يتحقق دائما كلما بذلت محاولة جادة – الى ما لم يبلغ أى منهج آخر من صنع البشر ، على الاطلاق ، وفى يسر وراحة ، وطمأنينة واعتدال »(٣) ٠

اشرافة على المستقبل :

ينقسم العالم المعاصر الى معسكرين كبيرين ، هما المعسكر الرأسمالى ، والمعسكر الشيوعى ، وبين المعسكرين صراع مصالح ، ضحيته الشعوب التى تقع خارج المعسكرين بالدرجة الأولى ، ومعظمها من الشعوب الاسلامية ٠

وتنطلق حرية الفرد فى المعسكر الرأسمالى بلا حدود ، وبانطلاقتها تكونت الأحزاب المتطاحنة على الحكم ، وارتبط وجودها وصراعها ،

---

(١) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٣٤ ٠

(٢) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية (مرجع سابق) ، ص ١٠ – من المقدمة ٠

(٣) سيد قطب : هذا الدين – دار الشروق ، ص ٤ ٠

باصحاب المصالح ، من رجال المال والاقتصاد - والمال والاقتصاد فى أى مجتمع هما عصب الحياة فيه •

وبذلك اصبح الوجود (المادى) للمجتمعات الرأسمالية مرتبطا ارتباطا عضويا بالرأسمالية •

وتستبد الدولة بكل شىء فى المعسكر الشيوعى ، بلا حدود ايضا ، وباستبدادها ، أصبح وجود كل فرد فى هذا المعسكر ، مرتبطا بذلك الجهاز المعقد المتشابك ، المسمى (بالدولة) ، وبالحاكم الفرد الذى يتربع على عرشها •

وبذلك أصبح الوجود (المادى) للمجتمعات الشيوعية مرتبطا ارتباطا عضويا بالشيوعية •

وضاع الوجود (المعنوى) للانسان فى هذه المجتمعات ، وصار - بضياعه - (حيوانا) طليقا فى الرأسمالية ، و (حيوانا) مقيدا فى الشيوعية •

وصار بين (الحيوانين) صراع مصالح •

فالرأسمالى يخاف الشيوعية ، لا لأنها ملحدة كافرة ، لأنه أشد من الشيوعيين كفرا ، ولكن لأن الشيوعية تعنى أنه سيتحول الى انسان مقيد ، لا يملك شيئا ، وقد يحكم عليه بالاعدام ، أو ينفى ، كما تم للملايين فى كل مجتمع معاصر تحول الى الشيوعية •

والشيوعى يخاف الرأسمالية ، لا لأنها انتهازية استغلالية ، لأنه أشد من الرأسماليين انتهازية واستغلالا ، ولكن لأن الرأسمالية تخيف قادته ، ومن يتربع على رءوس هؤلاء القادة ••• وما يخيف القادة لابد أن يخيفه •• والا كان النفى والتشريد أو الاعدام فى انتظاره •

والرأسمالى والشيوعى معا يخافان الاسلام ، لا لأنه دين حريم ، أو لأنه يحمى نظام العبيد ، أو لأنه أفيون الشعوب ، لأن الحريم والعبيد لا يوجدان الا حيث ينطلق الانسان وراء شهواته ، بلا وازع من خلق أو ضمير ، وبلا انسانية ، ولا انطلاق وراء الشهوات على هذا النحو الا فى الرأسمالية والشيوعية معا ••• هذا فى ظل الرأسمالية يسعى لجمع المال بكل سبيل ، لأنه بدون المال لا يكون (انسانا) ، وهذا فى ظل الشيوعية يسعى لأن يسترضى من بيده السلطة ، لأنه ان لم يسترضه فقد تزهق روحه •

فليس دينا للحريم ذلك الدين الاسلامى ، الذى (رفــع) المرأة ، فجعلهــا مسئولة عن (أكــرم مخلوق) من مخلوقات الله ، ســواء كانت مسـئولة عنــه جنينا فى بطنها ، أو طفلا تحت رعايتها وتوجيهها ، أو رجلا زوجا لهــا ، يأتمنها على نفسه وعلى بيته وعلى أولاده ، وعلى مستقبل أمته كله ــ وانمــا دين الحريم هو ما تدين به الحضارة الحديثة ، التى (هبطت) بالمرأة ، فلم تر فيها أكثر من (حيوان) ، انطلق من سجنه ، ليثير فى الرجال (أحط) ما فيهم ، ثم يعود فيطفىء ما أشعله ، من ثورة الشهوة هذه ٠

وبقــدر قدرة المرأة على اثارة الشهوة واطفائها ، تكون قيمتهــا فى الحضارة الحديثــة ، وحين تفقــد المــرأة هــذه القدرة وتلك ، تفقد مقومات حياتها ٠

وهو ليس دينا للعبيد ، فقد حرر (الانسان) من كل عبودية لغير الله ٠٠ سواء كانت عبودية للغير كما هو الحال فى الشيوعية ، أو عبودية للنفس والشهوات ، كما هو الحال فى الرأسمالية ٠

أما الأفيون ، فهو أكثر توفرا لدى الشــــيوعيين ، الذين يهاجمـــون الأديان ، وبه يخدرون الكادحين المغلوبين على أمرهم ــ وأما الاســـلام ، فهو دين الثورة على كل ظلم يقع ، وليس دين استكانة أمام غنى قــادر ، يشترى الذمم والضمائر ، ولا أمام حاكم مستبد ، قادر على أن يعز من يشاء ، ويذل من يشـــاء ٠

ان الشيوعية والرأسمالية معا ، يحاربان الاسلام ، لأنه يقدم برنامجا (انسانيا) ، يقف فى وجه من يتخذ من المــال وسيلة للاذلال ، كما يقف فى وجه من يتخذ من السلطان وسيلة للقهر ٠

« ان الاسلام عقيدة استعلاء ، من أخص خصائصها أنهــا تبعث فى روح المؤمن بها ، احساس العزة من غــير كبر ، وروح الثقــة فى غــير اغتــرار ، وشعور الاطمئنان فى غير تواكل ٠ وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الانســــانية الملقاه على كواهلهم ، تبعة الوصاية على هذه البشرية ، فى مشــــارق الأرض ومغاربها ، وتبعة القيادة فى هذه الأرض للقطعان الضــالة ، وهدايتهــا الى الدين القيم ، والطريق السوى ، واخراجها من الظلمات الى النــــور ، بمــا آتاهم الله من نور الهدى والفرقان »[1] ٠

---

(١) أبو الحسن الندوى (مرجع سابق) ، ص ١٦ ــ من المقدمة ، للأستاذ سيد قطب ٠

والحرب بين الحق والباطل حرب أزلية ، وهي ليست بنت اليوم !

والحرب بين الاسلام وخصومه موجودة منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم برسالة التوحيد ، وهى لم تتفجر اليوم فقط .

ومسئولية المسلم ذى العقيدة موجودة منذ فجر الاسلام ، وهى ليست وليد الأحداث الراهنة ، والصراع الأيديولوجى المعاصر .

وكل ما يمكن أن يطلب الى المسلم اليوم هو أن يقوم بواجبه ، ويتحمل مسئوليته ، والا فهو ليس من الاسلام فى شىء .

عليه أن يبدأ بنفسه ، فيكون - بحق - مسلما ، يشع النور حوله ، فيملأ مجتمعه علما وحضارة ، وعدلا وخيرا ، ثم يقول للناس بعدها : هأنذا .

أما فى صورته البالية التى يبدو عليها اليوم ، فردا وأمة ، فهو أكثر اساءة الى الاسلام ، من أعتى الرأسماليين ، وأقصى الشيوعيين .

على المسلم اليوم أن يكون مسلما بالقول ، مسلما بالعمل ، وأن يأخذ من الناس - كل الناس - خير ما عندهم ، ويعطى الناس - كل الناس - خير ماعنده ، حتى تعود الى حياته « صبغة القدسية المفقودة للحياة ، فى الظاهر والباطن ، بتدبير انسانى وتوجيه ربانى ، للفرد وللمجتمع على السواء ، فى الحركة العلمية والاقتصادية »[1] .

وبعبارة أخرى : على المسلم أن يصحح عقيدته ، بهدى من كتاب ربه ، وسنة نبيه ، حتى يعود - كما كان دائما - منارة ، تهدى القطعان البشرية الضالة ، بعد أن فقدت معظم (انسانيتها) ، بابقائها - فى خضم الأيديولوجيات المعاصرة - على جانبها الحيوانى وحده ، وتقوقعها فيه .

وبدون عقيدة الاسلام الصحيحة ، سيظل المسلمون أشقى الناس ، لأنهم - فى سوق اليوم - ليسوا - بلغة المادة - أغنى الناس .. وليسوا أقوى الناس .

---

(١) الدكتور مهدى بن عبود : عقيدة الاسلام ايديولوجية المستقبل - الطبعة الأولى - المختار الاسلامى - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م - ص ٢٥ ، ... م ... العقيدة الاسلامية ... ٥٧٠

ولكنهم ـ بلغة الروح ـ لغة انسان القرن العشرين ، الذى طالما التمس الأمن والسلام والسعادة فى ايديولوجيات العصر ، فلم يجد لهـا اثرا ٠٠ لديهم كل شىء ٠

ولكنهم لن يكون لهم وجود حقيقى ، الا اذا هم عادوا الى أنفسـهم ، إلى تراثهم ، الى ما بين أيديهم من ذخائر ، أزال بها أجدادهم أعتى دولتين فى العالم القديم ، وهما دولتا الفرس والروم ، وشادوا بها للانسانية حضـارة رائعة ، كانت أساس الحضارة الانسانية الراهنة ، وتوفر فيها للانسـان ٠٠ كل انسان : حريته وأمنه ، وصالح مجتمعه ٠

وخير ما فى هذا التراث الـذى بين يـدى المسـلمين : كتـاب الله ، وسنة نبيه ، فهما الطريق الحى الى العقيدة الاسلامية الحقة ، التى تعصم من الانزلاق الى متاهات عقائدية ، لها بريق ، ولكنه ٠٠ خادع ٠

واذا ما رجع المسلمون الى هذا التراث ، فسيقدمون برنامجا ربانيا متكاملا لحل مشكلات « عالمنـا المعـاصر ، الـذى يفتقر الى شـمول الاسـلام وتـكامله وانسانيته ، فيفتقر ـ نتيجة لذلك ـ الى كل احساس بالأمن والطمأنينة ، ممـا يهـدد مدنيته وحضارته الراهنة »(١) ٠

(١) دكتور عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » ـ **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ المجلد الثالث ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ـ ١٩٧٦ ، ص ٧٥ ٠

وللمسلم أن يفخر بعقيدته

رأينا أن محور العقيدة الاسلامية ، هو مطلق وحدانية الله ، وأنه من خلال هذا المحورتتحقق وحدة الوجود فى الاسلام[1]،وأن الانسان يحتل فى هذه العقيدة، المرتبة الثانية ، بعد مرتبة الله سبحانه ، بحكم ذلك (الاستخلاف) الذى كرمه به ربه ، وأن للانسان ــ بحكم هذا الاستخلاف ــ رسالة تعميرية تحضيرية فى حياته الدنيا التى يحياها[2] ٠

غير أن الانسان لا يكون مستحقا لهذه الدرجة من التكريم ، ما لم يقم بتبعاتها ، وانه لا يستطيع أن يقوم بتبعاتها ما لم يحس ــ فى أعماقه ــ بأنه (عبد) لله ، بكل ما تحمله تلك العبودية من معانى التسليم المطلق ، (للسيد) الخالق سبحانه ٠

وهو تسليم مطلق ، لأنه يقوم على أساس أن الملك كله لله ، والملك « هو الملك على الاطلاق : اليسير من أمره والعظيم ٠٠ انه البسط والقبض ، والمنع والاعطاء ، والحياة والموت ، والنفع والضر ، والجاه وازالته ، والغنى والفقر »[3] ٠

كما رأينا أن هذه (العبودية) المطلقة لله ، هى سبيل المسلم الى ما ينشد من (عزة) ، وبدونها لا عزة ولا كرامة ، وانما عبودية لغير مستحقيها ٠٠ أراد الانسان أم لم يرد ٠

ان عبودية الناس لله سبحانه ــ فى الاسلام ــ هى عبودية للسيد الخالق فعلا، ومن ثم فهى عبودية « تتشرف بها انسانيتهم ، وتسمو كرامتهم ، التى كرمهم بها رب العالمين ، فسخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض ، وسخرهم فى عبودية رب السموات والأرض ، وهى العبودية التى ينتهى اليها أقصى ما تتطاول اليه حرية الأحرار ٠

---

(١) ارجع الى ص ٦١ ــ ٦٣ من الكتاب ٠

(٢) ارجع الى ص ٦٤ من الكتاب ٠

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود : «حب الله وتوحيده » ــ **منار الاسلام** ــ تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات العربية المتحدة (أبو ظبى) ــ العدد الأول ــ محرم ١٣٩٦ هـ ــ يناير ١٩٧٦ م ، ص ١٧ ٠

فالدين تحتاج اليه الانسانية فى الانسان ، لكى يحول بينه وبين الخضوع لبشر مثله ، خضوع مذلة واستكانة ، كخضوع المربوب لربه ، وليس خضوع الحب والاحترام ، لأولئك الذين نحبهم ونحترمهم »(١) ٠

وفى ظل هذه (العبودية) الحقيقية الصادقة لمستحقها سبحانه ، تجد (حرية) المسلم كاملة فى حياته اليومية ، فهو « شجاع أمام الاعداء ، شجاع أمام الطغاة ، شجاع أمام الأحداث ، ثقته كاملة فى الله الحكيم الرحمن »(٢) ٠

وقد كانت هذه (العبودية) لله ذاتها ، هى التى دفعت بالماديين المعاصرين الى طريق (الالحاد) ، وانكار وجود الله ٠٠ بحثا عن (الحرية) ٠

لقد توصل البحث العلمى الحديث بهؤلاء الماديين الملحدين المعاصرين ، الى أن « الدين نتاج اللا شعور الانسانى » ، فقد « اكتشف فرويد بعد جهد طويل أن اللاشعور قد يقبل أفكارا فى الطفولة ، وتؤدى الى أعمال غير عقلية ، وهذا ما يحدث بالنسبة الى العقائد الدينية »(٣) ٠

فالدين فى نظر هؤلاء العلماء الملحدين الغربيين خرافة ، ابتدعها عقل عاجز ، يخفى بها أمارات عجزه عن فهم الكون والحياة ٠

وانكار هؤلاء الماديين الملحدين للدين ، فيه انكار بالتالى لله سبحانه ٠

والدين فى نظر الشيوعيين - الماديين - خرافة أيضا ، ابتدعتها عقول العاجزين عن مواجهة المظالم الاجتماعية ٠

وانكار هؤلاء الماديين الشيوعيين للدين ، فيه انكار بالتالى لله سبحانه ٠

وانكار هؤلاء وهؤلاء للدين ولله ، حقيقة واقعة فى عالم اليوم ٠

ولكن هذا الانكار ذاته لم يحرر هؤلاء ولا هؤلاء ، كما كانوا يتصورون ، بل لقد أوقعهم - على العكس - فى حبائل عبودية ليس فيها تحرير ، كما هى عبودية الله ، وانما فيها ذل الاسار ٠

---

(١) الشيخ أحمد حسن الباقورى (مرجع سابق) ، ص ٣٠ ، ٣١ ٠

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود (المرجع الأسبق) ، ص ١٧ ٠

(٣) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى (مرجع سابق) ، ص ٢٥ ، ٢٦ ٠

لقد صار الانسان (الحر) فى ظل الشيوعية عبدا لشخص آخر ، هو رئيس الدولة ، أو سكرتير الحزب الشيوعى على أحسن الفروض ، فبيد هذا السكرتير أو ذاك الرئيس أسباب حياته ٠٠ كل أسبابها ، وبيده لقمة العيش التى يأكلها ، وبيده - أيضا - حياته كلها ، ان شاء ، متى شاء ٠

وصار الانسان (الحر) فى ظل الرأسمالية عبدا لأهوائه ومطامعه ، عبدا لشهواته ، أو على أحسن الفروض - عبدا لعقله ، وعقله - مهما بلغ من الذكاء - قاصر قاصر ٠

وهكذا أخذ هذا الانسان (الحر) ، فى ظل الشيوعية والرأسمالية ، « يدور داخل هذه العبودية ذات الطلاء الذهبى ، التى كان يحسبها الحرية ، والتي فيها تؤكد الرأسمالية والشيوعية دعوى واحدة ، الا وهى حقوق الانسان ، فى أن يكون على كل شىء قديرا »[1] ، فان « الرأسمالية قد أنهكها رخاؤها ، فانتهت الى فلسفات وجودية مهجنة من الارتيابية ، ومن اللذات الزائفة ٠ والشيوعية - تذرعا بالحجة المشروعة ، وهى تحرير الانسان - قد سلبته الحرية الحقيقية ، حرية الفكر ، وانتهت الى علمية عدمية ، والى فلسفة قوامها الكراهية » [2] ٠

وبعبارة أخرى : (تحرر) الانسان الرأسمالي والانسان الشيوعى من العبودية لله ، ففقد كل منهما (انسانيته) ، وتزلزل كيانه ، وأحس بالضياع - كل الضياع ٠

ذلك أنه - فى الشرق والغرب - قد تحرر - يوم تحرر من عبوديته لله - من تلك الشىء الوحيد الذى يجعله (انسانا) ، ومن ثم لم تبق له من انسانية الانسان سوى جانبه الحيوانى ، فصار - بهذا الجانب - حيوانا بلا انسانية ٠

***

وأذكر أنى فى صيف سنة ١٩٥٦ ، كنت حديث التخرج من الجامعة ، ودفع أحد أصدقائى الى بكتابين أمريكيين ، لم يكونا مشهورين وقتها ، لمؤلف لم يكن مشهورا وقتها أيضا ، وهو ديل كارنيجي Dale Carnegie ، وهذان الكتابان هما :

— How to Stop Worrying, and Start Living.

— How to Win Friends, and Influeace People.

---

(١) الدكتور أحمد عروة (مرجع سابق) ، ص ٢٤ ، ٢٥ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ٠

وأثر فى الكتابان ، وغيرا مجرى حياتى ، كما أثرا فى كل من قرأهما ، وغيرا مجرى حياته • وأحسست ـ وكنت صادقا فيما أحسست ـ بأن هذين الكتابين ليسا غريبين على ، فقد أحسست بأن ما ورد فيهما كان صورة لما ورد فى تراثنا الاسلامى •

وعندما أردت كتابة هذه السلسلة ، عدت الى الكتابين ، بعد عشرين سنة •

وكان الكتاب الأول قد ترجم الى اللغة العربية ترجمة رشيقة حقا ، تحت عنوان (دع القلق ، وابدأ الحياة) ، بينما ترجم الكتاب الثانى ترجمة حرفية دقيقة ، تحت عنوان (كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر فى الناس ؟) •

ويقول المترجم ، فى تقديمه للكتاب الأول ، وفى تقديمه للطبعة الثانية من الكتاب الثانى : ان الكتاب الثانى (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس) ، قد أعيد طبعه ستا وخمسين مرة ، فى اثنى عشر عاما ، ويزيد ما بيع منه على ثلاثة ملايين نسخة ، ويصفه النقاد بأنه (أوسع الكتب الجدية انتشارا فى التاريخ ، بعد الحديث النبوى والقرآن الكريم والانجيل) •

وتعدى هذا الكتاب حدود أمريكا ، الى أرجاء العالم قاطبة ، فكان له ذيوعه مثل حظه فى أمريكا ، من ذيوع وانتشار ، اذ ترجم الى ست وخمسين لغة »[1] •

فالكتابان ـ بأى مقياس ـ مهمان ، يستحقان القراءة ـ فما الذى يقوله ديل كارنيجى فيهما ؟

انه يسوق فيهما قصصا من الواقع ، يؤكد فيهما ـ ومن خلالهما ـ أن من الحكمة أن يسلم الانسان أموره لله ، وأن •• وأن •• وأن •• حتى يسلم من القلق ، ويعيش حياة آمنة ، يتمتع فيها بالصحة الجيدة •

فهو يدعو الى الايمان بالله ، لا من أجل هذه الحقيقة الكونية ، ولا تحقيقا لانسانية الانسان ، ولكن تجنبا للأمراض ، الناتجة عن القلق ، بسبب فقد هذا الايمان •

---

(١) ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحياة ـ تعريب عبد المنعم محمد الزيادى ـ الطبعة الخامسة ـ مؤسسة الخانجى بمصر ، ص ١٢ ، ١٣ ـ من مقدمة المعرب •

وارجع كذلك الى :

ـ ديل كارنيجى : كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس ؟ ـ تعريب عبد المنعم محمد الزيادى ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الخانجى بمصر ، ص و ـ من مقدمة الطبعة الثانية •

ويقرر كارنيجى فى أكثر من مكان من الكتابين ، أنه لم يأت بجـديد ، وأن كلامه هذا قال بهالفلاسفة منذ أقدم العصور ، فقد « علمه (زردستار) للمجوس فى بلاد فارس منذ ثلاثة آلاف سنة ، ووعظ به كونفوشيوس أهل الصـين منـذ أربعة وعشرين قرنا ، ولقنه لاوتى لتلاميذ الطائية فى وادى (هان) ، وبشر بـه (بوذا) على ضفاف (الجانجز) المقدس قبل الميلاد بخمسمائة سنة ، وأوردته الكتب الهندوكية قبل ذلك بألف عام ، ونادى به كل نبى فى أمته ، وكل حـكيم فى عصره »(١) .

فالايمان بالله ، والتسليم للقضاء والقـدر ، و .. ضرورة من ضرورات الحياة الدنيا ، فى نظره ونظر فلاسفته وأنبيائه ، وهو طريق السعادة فى هـذه الحياة الدنيا ، وبدون هذا الايمان ... لا سعادة ولا صحة فى هذه الحياة ، فان « الظروف ليست هى التى تمنحنا السعادة ، أو تسـلبنا اياها ، وانما كيفيـة استجابتنا لهذه الظروف ، هى التى تقرر مصيرنا . واذا كان السيد المسيح قال (ان ملكوت السموات فيكم) ، فان ملكوت الجحيم فى داخليتنا أيضا »(٢) .

ذلك أن عدم الايمان بالله ، وعدم التسليم للقضاء والقدر ، يفضى بالانسان الى القلق ، والقلق يدفـع بالانسـان الى توتر الاعصـاب وأمراض القلب ، أو الانتحار ، فقـد « أثبتت الاحصاءات أن القلق هـو القاتل رقم (١) فى أمريكا . ففى خلال سنى الحرب العالمية الأخيرة،قتل من أبنائنا (الأمريكيين) نحو ثلث مليون مقاتل ، وفى خلال هذه الفترة نفسها ، قضى داء القلب على مليونى نسمة، ومن هؤلاء الأخـيرين ، مليون نسـمة ، كان مرضـهم ناشـئا عن القلق وتوتر الأعصاب » ، ثم « ان عدد الأمريكيين الذين ينتحرون ، يفوق عدد الذين يموتون بالأمراض على اختلافها ، فلماذا ؟ . الجواب فى معظم الأحوال هو : القلق »(٣).

ويرى كارنيجى أن هناك أمراضـا عـديدة تنتج عن القلق ، منهـا « عسر الهضم ، وقرحة المعـدة ، واضـطرابات القلب ، والأرق ، والصـداع ، وبعض أنواع الشلل »(٤) ، كما يؤيد الفيلسوف الأمريكى وليم جيمس ، فيما يراه ، من « ان أعظم علاج للقلق ، ولا شك ، هو الايمان »(٥) .

---

(١) ديل كارنيجى : كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس ؟ (المرجع السابق) ، ص ١٠٦ .

(٢) ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحياة (المرجع الأسبق) ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

.. وهو يرى أن « أطباء النفس يدركون أن الايمان القوى ، والاستمساك بالدين ، والصلاة ، كفيلة بأن تقهر القلق ، والمخاوف ، والتوتر العصبى ، وأن تشفى أكثر من نصف الأمراض التى نشكوها » ، وان « أطباء النفس ليسوا الا وعاظا من نوع جديد ٠ فهم لا يحضوننا على الاستمساك بالدين ، توقيا لعذاب الجحيم فى الدار الآخرة ، وانما يوصوننا بالدين توقيا للجحيم المنصوص فى هذه الحياة الدنيا ، جحيم قرحات المعدة ، والانهيار العصبى ، والجنون »(١) ٠

فهو ايمان بالله ، لسد ثغرات فى حياة الجسد البالى ، لا لسد فراغ لابد من سده ، فى حياة الروح ٠٠٠ التى لا تبلى ٠

ومن ثم لم يستطع الكتاب ـ رغم انتشاره الواسع ، وتأثيره الكبير ـ أن يعود بالملايين الشاردة عن انسانيتها ٠٠ الى حظيرة تلك الانسانية ، كما لم يستطع أن يوقف نزيف قرحات المعدة والانهيار العصبى والجنون ٠

ذلك أن الايمان بالله مطلب (أساسى) فى حد ذاته ، كحقيقة كونية ، وكحاجة نوعية انسانية ، وليس مطلبا (ثانويا) للانسان ، يسد به بعض أمراض جسده أو كلها ٠

وصحيح أن الايمان بالله يؤدى ـ فيما يؤدى اليه ـ الى صحة الجسد ، بسبب (الطمانينة) التى يملأ بها الايمان قلب المؤمن ، فتنعكس على أعصابه بردا وسلاما ٠٠ ولكن : فرق بين أن يكون الايمان (هدفا) فى حد ذاته ، وبين أن يكون مجرد (وسيلة) لتحقيق هدف آخر ٠

ولم يكن غريبا ـ لذلك ـ أن يتناقض كارنيجى مع نفسه ، فى نفس الكتاب (دع القلق ، وابدأ الحياة) ، تناقضا لم يقصد اليه بطبيعة الحال ، وانما أوقعه فيه إتخاذه الغاية (الايمان) مجرد وسيلة ٠ انه يورد فى الجزء العاشر من الكتاب ـ ضمن مجموعة « قصص واقعية ، يروى أبطالها كيف قهروا القلق »(٢) ـ قصة رف س ٠ بودلى ـ مؤلف كتاب (رياح على الصحراء) و (الرسول) ، وأربعة عشر كتابا أخرى ـ المعنونة (عشت فى جنة الله) ، والتى يقول فيها : « فى عام ١٩١٨ » ، « يممت شطر افريقيا الشمالية الغربية ، حيث عشت بين الأعراب فى الصحراء » ، « وقد كانت تلك الأعوام السبعة التى قضيتها مع هؤلاء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٣ ٠

«البدو الرحل من أمتع سنى حياتى ، وأحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة .

وقد تعلمت من عرب الصحراء : كيف أتغلب على القلق . فهم بوصفهم مسلمين ، يؤمنون بالقضاء والقدر ، وقد ساعدهم هذا الايمان على العيش فى أمان ، وأخذ الحياة مأخذا سهلا هينا ، فهم لا يتعجلون أمرا ، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم ، قلقا على أمر » .

« اننى لم أعان شيئا من القلق قط ، وأنا أعيش فى الصحراء ، بل هنالك ، فى جنة الله ، وجدت السكينة ، والقناعة والرضا » .

« وخلاصة القول : اننى بعد انقضاء سبعة عشر عاما على مغادرتى الصحراء ، مازلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله ، فأقابل الحوادث ، التى لا حيلة لى فيها ، بالهدوء والامتثال والسكينة ، ولقد أفلحت هذه المسكنات والعقاقير »[1] .

فهو يورد قصة رف س . بودلى ، فى صورة ، يبدو بها وكأنه يقارن بين (البدائية) فى ظل الاسلام ، و (التقدم) فى ظل الحضارة الغربية الحديثة .

وصحيح أن مغزى القصة يؤكد أن (البدائية) أفضل من (الحضارة) .

ولكن جوهر القضية يبقى كما هو ، فليست (الحضارة) مؤدية دوما الى القلق والاضطراب ، وما يؤديان اليه من أمراض نفسية وعضوية مدمرة - وليست (البدائية) مؤدية دوما الى الاستقرار النفسى والرضا ، والى صحة النفس والبدن .

وانما العقيدة الصحيحة ، هى التى تحفظ توازن الانسان النفسى ، سواء عاش فى ظل الحضارة الغربية الحديثة ، أو عاش فى ظل البدائية .

وعرب الصحراء ، الذين ذكر رف س . بودلى ، أنه عاش بينهم ، يعيشون أصحاء ، لأنهم يعتقدون عقيدة الاسلام ، لا لأنهم يعيشون حياة بدائية ، ولو عاشوا فى نيويورك أو فلوريدا ، لعاشوا أصحاء أيضا . والأمريكيون يعيشون مرضى ، لأنهم فقدوا صلتهم بالله ، وايمانهم به ، لا لأنهم يعيشون حياة حضارة ، ولو عاشوا فى صحراء جرداء ، لزرعوا فى رمالها قلقهم ومخاوفهم ووساوسهم .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩٥ - ٣٩٨ .

فالمسألة مسألة عقيدة صحيحة مستقيمة ، أو عقيدة فاسدة سقيمة ، وليست مسألة غنى أو فقر ٠٠٠ حضارة أو بدائية ٠

ومن هنا كان فساد المنهج الذى استخدمه ديل كارنيجى ٠

وبهذا المنهج الفاسد عالج كل قضايا كتابيه ٠

وبه - أيضا - كان - من حيث الشكل ، وللوهلة الأولى - يبدو كما لو كان يتحدث باسم الاسلام ، بينما هو لم يسمع عن الاسلام ، وكل ما يعرفه عنه - كما يبدو - أنه دين بدائية وتحجر وجمود ، يدفع أبناءه وأتباعه الى القدرية والتواكل ، وتلك كل ما فى هذا الاسلام من ايجابية - على حد ما أورده من قصة ر ف س ٠ بودلى ، التى سبقت الاشارة اليها ٠

وجوهر الفرق بين المنهج الاسلامى ، ومنهج ديل كارنيجى ، فى معالجة القضية - قضية القلق - هو أن المنهج الاسلامى يضع الانسان حيث يجب أن يوضع - مخلوقا عقائديا ، ذا رسالة سامية فى هذه الحياة ، بينما يعتبر المنهج الكارنيجى الانسان حيوانا وكفى ٠

ومن هناك كان الخلاف الجوهرى بين المنهجين ، وهذا الخلاف نراه واضحا فى كل شىء ٠

يقول ديل كارنيجى مثلا : « ركز جهودك فى العمل الذى تشعر من أعماقك أنه صواب ، وصم أذنيك بعد ذلك عن كل ما يصيبك من لوم اللائمين »[1] ، واعلم « أنك حين يوجه اليك الضرب أو النقد ، أن فى ذلك اعترافا بقدرك وأهميتك ، وأن فيه اقرارا بأنك فعلت شيئا فذا ، لفت الأنظار اليك »[2] ٠

وهو نفس الاتجاه الاسلامى فى مواجهة الحاقدين :

- « وأن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ٠ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ٠ واما ينزغنك من

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٤ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ٠

الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه سميع عليم • ان الذين اتقوا ، اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » (١) •

ولكن شتان بين (هدف) ديل كارنيجى ، و (هدف) القرآن الكريم ، من هذا المسلك الموحد ، فديل كارنيجى يرى فى نقد الآخرين حقدا وكراهية ، بينما يرى القرآن الكريم فيه جهلا وغباء •

ومن ثم يهدف ديل كارنيجى الى ترك الحاقدين تحرقهم (نارهم) ، بدلا من أن تحرق الناجح نفسه ، الذى يتجه اليه نقد هؤلاء الحاقدين ـ بينما يهدف القرآن الكريم الى أن يترفع الانسان المسلم عن الصغائر ، لعل هؤلاء الجاهلين أن يروا فى ترفع المسلم هذا (نورا) ، يبدو لهم ظلمات أنفسهم •

وبعبارة أخرى : يوجه ديل كارنيجى نصيحته الى مجموعة من (الحيوانات) المتصارعة على حياة دنيا ، بينما يوجه القرآن الكريم نصيحته الى (انسان) ذى رسالة ، فضله الله على سائر خلقه •

ويدعو ديل كارنيجى الى لوم النفس ، بدلا من لوم الآخرين ، لأن « اللوم شرارة خطيرة ، فى وسعها أن تضرم النار فى وقود الكبرياء »(٢) •

وهو مطلب اسلامى أيضا •• الا أنه ليس مطلبا من أجل الكبرياء ، وانما هو مطلب من أجل شىء أسمى ، وهو وصول الانسان المسلم الى ما ينشد من كمال •

فمن أجل كمال الانسان المسلم ، يلوم المسلم نفسه ، ويقبل لوم الآخرين ، ومن أجل كمال المجتمع الاسلامى يلوم الانسان المسلم غيره ، بلغة كارنيجى ، ويقدم النصح لهذا الغير بلغة •• الاسلام •

ومن ثم ، فدعوة الاسلام الى لوم النفس ، دعوة الى الكمال ، ودعوة كارنيجى الى لوم النفس دعوة الى النفاق ، وبين الهدفين بون شاسع •

ويدعو ديل كارنيجى الى أن نحب أعداءنا ، لا استجابة لنداء السيد المسيح ، ولكن استجابة لضرورات صحة النفس والجسد ، لأن حب الناس جميعا ، بما فيهم الأعداء ، يخلق فى النفس حالة ايجابية ، يبدو بها الانسان

---

(١) قرآن كريم : الأعراف ـ ٧ : ١٩٨ ـ ٢٠١ •
(٢) ديل كارنيجى : دع القلق وابدأ الحياة (المرجع الأسبق) ، ص ١٨٤

« سعيدا » ، فتنعكس سعادته على نفسه ، وهو يرى أننا « قـد لا نكون جميعا من عفة النفس ، بحيث يسعنا أن نحب أعداءنا ، فلا أقل ، والحالة هـذه ، من أن نحبهم ، رفقا بصحتنا وسعادتنا نحن »(١) ٠

والاسلام يدعو ـ كذلك ـ الى أن نحب أعـداءنا ، لا من أجـل صـحتنا وسعادتنا ، بل من أجل الآخرين ٠ ومن ثم كان الحب الاسلامى فيه ايجابية ، فقـد يدفعنا هـذا الحب الى لومهم وتقريعهم ، وقـد يدفعنا الى تعنيفهم ، من أجل صالحهم ، وقد يدفعنا كذلك الى مقاطعتهم أو محـاربتهم ٠٠ لا من أجـل الحرب ، بل من أجل الاصلاح ٠

فهو حب مسئول ، وليس حبا انانيا ، كما هو حب ديل كارنيجى ٠

ويدعو كارنيجى ـ كذلك ـ الى التواضع ، لأن « الرجل العاقل هـو الـذى اذا أراد أن يعلو على الناس ، وضع نفسه اسفلهم ، واذا شاء أن يتصـدرهم ، جعل نفسه خلفهم »(٢) ٠

ويدعو كارنيجى الى الابتسـامة (٣) ، والى احساس الآخـرين بانهم مهمون (٤) ، والى استثارة الدوافع النبيلة فيهم (٥) ، والى الاعتراف بالخطأ ـ عند الخطأ (٦) والى تجنب الجدل (٧) ، والى التماس الأعذار للآخرين (٨) ، والى الاهتمام بهؤلاء الآخرين ، وخدمتهم باخلاص (٩) ، والى تقديم المساعدات لهـم (١٠) ٠

ويدعو كارنيجى الى الابتسامة(٣) ، والى احساس الآخرين بأنهم مهمون(٤) ، والى استثارة الدوافع النبيلة فيهم(٥) ، والى الاعتراف بالخطأ ـ عند الخطأ(٦) والى تجنب الجدل(٧) ، والى التماس الأعـذار للآخرين(٨) ، والى الاهتمـام بهؤلاء الآخرين ، وخدمتهم باخلاص(٩) ، والى تقـديم المساعدات لهم(١٠) ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ٠
(٢) ديل كارنيجى : كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس ؟ (مرجـع سابق) ، ص ١٧٥ ٠
(٣) المرجع السابق : ص ٦٥ ٠
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ ـ ٣٢ ٠
(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٠ ـ ١٩٦ ٠
(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ٠
(٧) المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ٠
(٨) المرجع السابق ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ٠
(٩) المرجع السابق ، ص ٥٦ ـ ٥٨ ٠
(١٠) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٦ ٠

وهو يدعو الى ذلك كله ، كما دعا الى سابقه ، نفاقا للناس ، وكسبا لقلوبهم ، وبالتالى جلبا لراحة النفس وهدوء البال ، وحفاظا على الصحة ، ووصولا الى النجاح ٠

والاسلام يدعو الى ذلك كله ، كما دعا الى سابقه ، من منطلق ذلك (الموضع) ، الذى يحتله الانسان فى العقيدة الاسلامية ، وهو منطلق الاستخلاف ٠

ومن ثم لا يدعو الاسلام الى ذلك كله ،دعوة مطلقة،كما يفعل ديل كارنيجى ، وانما هو يدعو اليه ، بقدر ما يحقق كرامة الانسان وعزته ، واستحقاقه لهذا التكريم الذى كرمه به ربه ، يوم استخلفه ٠

***

ولم أكن لقصد مما سبق مقارنة بين كتابى ديل كارنيجى والقرآن الكريم ، فلا وجه للمقارنة هنا ، لأن الأساس المشترك بينهما غير موجود ، ومن ثم كانت المقارنة مقارنة بين الاختلال التام ، والكمال المطلق ٠

وانما قصدت أن أوضح : كيف يفكر هؤلاء الماديون الملحدون ، الذين اختلت أحوالهم ، وفسدت عقيدتهم ، فراحوا يلتمسون سبيلا الى النجاة من نار الدنيا ، فصنعوا لهم بأيديهم ما يتصوروه جنة ، فاذا هو النار عينها ٠

وظن هؤلاء الملحدون أن اعتقادهم فى الله عجز ، واعتقادهم فى اليوم الآخر قصور ، وآمنوا بعقولهم ، ومعطيات هذه العقول ، فكانت النتيجة أن وجدوا العجز والقصور فيما تصوروا واختاروا ٠٠ ثم راحوا يتخبطون ٠

ويدعو ديل كارنيجى الى الايمان ٠٠ من جديد ، ولكنه ايمان العاجز ، الذى لا يرى ولا يسمع ، لأنه ايمان مصلحة ، والايمان لا يحقق هدفه فى حياة الانسان، الا اذا كان ايمان فطرة ، وايمانا مطلقا ٠٠ حقق هذا الايمان للانسان فى دنياه مصلحة ، أو أصابه فيها بضرر ، لأن الدنيا ليست هدف أهداف المؤمن ، ولكنها مجرد معبر ٠٠٠ الى الحياة الأبدية ، التى لا تنتهى أبدا ٠

وما فعله ديل كارنيجى فى الغرب ، فعله الشيوعيون فى الشرق ، فضلوا الطريق كما ضل ، وان كان طريقهم غير طريقه ٠

وجد الشيوعيون أن حرية الفرد المطلقة هى مصدر شقائه ، وتصوروا مشكلة الانسان فى أساسها مشكلة اقتصادية ، لا سياسية ، فاذا توفرت

للانسان لقمة العيش ، تحقق له الأمن والطمانينة ، « فالفكرة الماركسية تنفى بشدة ، ارادة الانسان ، وهى تحيل الأحداث الى تاثير عوامل الزمن الاقتصادية ، ومعنى ذلك أن الانسان لا شخصية له ، فهو يصاغ فى مجتمعه ، كما يصاغ الصابون فى المصنع ، ولا طريق أمامه كى يشق أفكارا وطرقا جديدة ، وانما هو ينطلق مفكرا ، على النهج الذى سمحت له به حياته الاقتصادية »(١) .

ولم يغفل الاسلام حرية الفرد ، كما فعلت الشيوعية ، الا أنه لم يجعل هذه الحرية مطلقة كما فعلت الراسمالية ، وانما ربطها بمصدرها الحقيقى ·· وهو الله سبحانه ·

ولم يغفل الاسلام أهمية الجماعة كما فعلت الرأسمالية ، الا انه لم يجعل الجماعة سيفا مسلطا على رقاب الناس ، كما فعلت الشيوعية ، وانما أقام (تلاحما) ـ لابد أن يقوم ـ بين الفرد ، والجماعة التى يعيش بينها ، وجعل الفرد مسئولا عن الجماعة ، والجماعة مسئولة عن الفرد ، وربط الفرد والجماعة معا بنظام اكبر ، هو هذا الكون الواسع الذى نعيش فيه ، وعلى رأسه ـ بطبيعة الحال ـ رب الكون والكائنات جميعا ·

وبذلك وفر الاسلام للانسان خير ما فى الرأسمالية ، وهو حرية الفرد ، ووفر له خير ما فى الشيوعية ، وهو صالح الجماعة ، وجنب الفرد المسلم شر ما فى المذهبين أو الأيديولوجيتين المتناقضتين ، وهو مبالغة كل منهما فيما ذهبت اليه ، وفصل كل منهما بين الانسان ومصدر وجوده ، وسبب طمانينته ·· وهو الله سبحانه ·

***

فللمسلم أن يفخر بعقيدته ··· التى ربطته بالله سبحانه ، فوجد فى هذا الربط حصنا يقيه شر الذل فى حالة الضعف ، وشر الغرور فى حالة القوة ، ووجد فيه لحياته الدنيا معنى ، مهما كانت حالته فى هذه الحياة الدنيا ، لأنه سيلقى الله ـ مثله الأعلى ـ يوم تقوم الساعة ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ··· التى حررته من نفسه ، وشيطان هذه النفس ، كما حررته من أعتى القوى ، فوجد فيها ـ دوما ـ سياجا لحريته ·· حريته الحقيقية ·

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى (مرجع سابق) ، ص ٣٦ ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ·· التى حالت بينه وبين القلق ، لأنهـا قضت على أسـباب هـذا القلق ·· كل أسـبابه ، قضـاء تاما ، فلم تكتف بوضـع (المسكنات) على هذه الاسباب أو المسببات ، بل لقتلعتها من جذورها ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ·· التى جعلت حياته الدنيا مجرد معبر للآخرة، ولكنها لم تحرم على المسلم أن يستمتع بما يمكن أن يستمتع به فى حياته الدنيا تلك ، بل أنها جعلت الاستمتاع بما فى الدنيا من خيرات ، لونا من الوان الشكر لله سبحانه ، خالقها وخالقه ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ·· التى حققت توازنا مثاليا بين جسده وعقله وروحه ·· فوقته شر الوقوع فى تناقض بينها ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ·· التى أقرت حاجات الجسد وحاجات العقـل وحاجات الروح ·· فأشبعت هذه الحاجات وتلك ·· فحققت للانسان المسـلم (انسانيته) ، فى صورة مثالية نادرة منقطعة النظير ·· عاش بها انسانا فاضلا حقا···ولم يهبط مطلقا الى مرتبة (الحيوان) ، التى تهبط اليها الأيديولوجيات الحديثة ·· فى عصر الانسان ·· فى القرن العشرين ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ·· التى أقرت ما فى الانسان من نقاط ضعف ، وجعلت هذا الضعف منطلق الانسان نحو الكمال ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ··· التى نظمت حياة الانسان اليومية ، فجعلت من العمل عبادة ، لأنه سبيل تعمير الأرض ، وجعلت العقل سر تكريم الانسـان عـلى سـائر خلق الله ، وجعلت روح الانســان سر الله سـبحانه ·· فى هـذا الانسان ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ·· التى جعلت الانسـان المسلم اليـوم قـادرا على أن يقدم للانسانية نورا يبـدد ظلمـات حياتهـا ··· رغم التقـدم العلمى والتكنولوجى الكبير ، الـذى حققته تلك الانسانية ··· ورغم تخلفه المـادى ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ··· التى حفظت عليه شخصيته المستقلة ·· فى عصر الصراع الأيديولوجى الرهيب ، الذى يعيشه عالمنا المعاصر ، فلم يـذب فى هذا الكيان الأيديولوجى أو ذاك ، وانما وجـد فى هذه العقيـدة شفاء نفسه ، وشفاء الانسانية ، من شقائها الطويل ، الذى جلبه عليهـا تزييف العقيـدة ، و (مسخ) الشخصية الانسانية مسخا ، بعد بهـا عن طريق الفطرة ·· طريق الله ·

وللمسلم أن يفخر بعقيدته ٠٠ التى مكنته من أن يعيش فى كل مجتمع ،وفى كل عصر ، محتفظا بشخصيته ٠٠ غير متناقض بالضرورة مع ذلك العصر ٠ فهو قادر – بها – على أن يعيش فى مجتمع تسيطر عليه المادية ، أو تسيطر عليه الروحية ٠٠ وفى مجتمع متخلف أو مجتمع متقدم ٠ وسيظل فى كل هذه المجتمعات – بفضل تلك العقيدة – ذا رسالة نورانية قدسية ٠٠ تسمه ، وتميزه عن غيره من أبناء المجتمع ، وتدفعه دفعا الى المساهمة فى كل نشاط بناء فيه ٠٠ يعمل على صيانة كرامة الانسان ٠٠ ودعم انسانيته ٠

***

وللمسلم – أخيرا – أن يفخر بعقيدته ، وهو يرى – فى ضوئها – اليوم ، أن ما أصابه – ويصيبه – من تخلف وعجز وقصور ، لا يعود اليها ، كما فرض عليه أن يتصور ٠٠ وانما هو يعود الى بعده عنها ٠

فلقد فوجىء العالم الاسلامى ، بعد تخلفه الطويل ، الذى فرضه عليه الحكم التركى الغاشم المستبد – فوجىء بالحضارة الغربية الحديثة ، فى عنفوان شبابها ، تفرض نفسها عليه ، فلم يستطع أبناؤه – بسبب ذلك التخلف – أن يقيموا معادلة بين متطلبات العقيدة الاسلامية – كما فهموها خطأ – وبين الحضارة – كما يجب أن يأخذوا بها ٠

ونسى المسلمون وقتئذ أن هذه الحضارة الحديثة التى أينعت فى الغرب ٠٠ أصلها هذا الشرق الاسلامى الذى نعيش فيه ، وأن الاسلام كان راعيها الأول ، فلولاه ما كانت تلك الحضارة ، على هذا النحو الخلاب الذى تبدو عليه[1] ٠

ورغم الظلم والظلام ، ظهر جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ – ١٨٩٧ م) وتلاميذه ، يبددون ظلام الخرافة ، ويقولون : ان الاسلام هو الحضارة ، وان الخصومة التى خلقت بينهما هى خصومة مفتعلة ، ليست من الاسلام ٠

وظهر بعد جمال الدين دعاة على شاكلته ، منهم (من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا)[2] ، فما عقمت أرض ترتفع فيها راية التوحيد ، وتتجه فيها القلوب الى الله وحده ٠

---

(١) ارجع الى ص ٣٢ – ٣٧ من الكتاب ٠

(٢) قرآن كريم : الأحزاب – ٣٣ : ٢٣ ٠

ولكن هؤلاء المسلمين الدعاة ، من قضى منهم نحبه ومن ينتظر ، حوربوا — ويحاربون — فى أرض الاسلام حربا شعواء ، تعرضوا فيها — ويتعرضون — للنفى والسجن والتعذيب ومصادرة الأموال ٠٠ وازهاق الأرواح أيضا .

وكيف لا يتعرضون لذلك كله ، وهم يعلنون الحرب على (الخرافة) التى فرضت على الدين الاسلامى ، وهى ليست منه ، فيضطرون الى محاربة (الاستبداد) السياسى ، كجزء من هذه (الخرافة) ، ومن ثم يصطدمون بالسلطان وبطشه ؟

وصار الدعاة الى الاسلام — فى قلب العالم الاسلامى — فى نظر حكامه المستبدين : دعاة ثورة وتمرد ، وطامعين فى النفوذ والسلطان ٠٠٠ وأدوات تخريب وتخريف ، وظهر من (رجال الدين) الرسميين أنفسهم من يعلن كفرهم، ويفتى باباحة دمائهم ٠٠ واجدا فى محكم كتاب الله ما يسعفه على ذلك ، ويعينه عليه ٠٠٠ !!

ومهدت أرض الاسلام تمهيدا للأيديولوجيا الرأسمالية فى بعض البلاد الاسلامية ، ومهدت تلك الأرض تمهيدا للأيديولوجيا الاشتراكية (الشيوعية) فى بعضها الآخر ٠

وكان العصر الذهبى للأيديولوجيا الرأسمالية فى البلاد الاسلامية ، هو النصف الأول من هذا القرن العشرين ٠٠ ولكن رد فعل المسلمين لمحاولة فرض هذه الأيديولوجيا كان هو ٠٠ العودة الى الاسلام ، فى اشراقته ووضاءته الأولى ٠٠ و (نبذ) الفكر المستورد الدخيل ٠

وكان أسلوب الرأسمالية الغربية فى فرض ايديولوجيتها هو أسلوب المراوغة ، ومحاولة الترفع ، والاشارة — فى صلف وكبرياء — الى ما أنجزه الغرب فى ظل أيديولوجيته ، من حضارة رائعة خلابة ، واستقطاب بعض ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، ليجعلوا منهم أبطالا أسطوريين ، ومفكرين نادرين ٠٠ بلسانهم يتحدثون ٠

وكان أسلوب الاشتراكية الشيوعية فى فرض أيديولوجيتها ، هو أسلوب المراوغة أيضا ٠٠ وشراء الذمم والضمائر ، ورفع الشعارات البراقة الخادعة ، مع استخدام القوة والعنف ٠٠ حين تدعو الضرورة اليهما ، ودفع العملاء الى مراكز السلطة ، (ليفرضوا) على المسلمين ما يشاءون ، ويغيروا (بالقوة) ما عجز المكر والدهاء عن تغييره ٠

وفشل اسلوب المراوغة والدهاء .. كما فشل أسلوب الكبت والضغط والعنف والجبروت ..

وكان هذا الأسلوب وذاك .. فى خدمة الاسلام وعقيدته .. لأنه نبه المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وحقيقة هذا الخطر .. فاندفعوا فى طريق الاسلام وعقيدته الخالصة .. من جديد ، من حيث أريد لهم ، أن يبتعدوا عنها .

ولقد سقط على الطريق رجال عقيدة وأعلام فكر وفلاسفة وجنود أبطال .. مسلمون مؤمنون ، ولكنها كانت أمنيتهم : أن يسقطوا على أشرف طريق . ولم يضع دمهم هباء ، وانما كان هو الوقود الذى أشعل الثورة فى القلوب ،وبدد الظلمات التى فرضها المتجبرون .. فرأى المسلمون الطريق ، وحملوا الشعلة من بعدهم ، لتستمر المسيرة ، كما أراد لها ربها ، أن تستمر .. حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وهاهو التاريخ ــ مرة ثانية ــ يعيد نفسه .

فقد ظن هؤلاء وهؤلاء ، أن الوقت مناسب للاجهاز على الاسلام وعقيدته ، فأخطأوا فى حساباتهم ، كما أخطأ أجدادهم فى حساباتهم .. فى عهد الرسول الكريم ، وفى عهدى خليفتيه أبى بكر وعمر ، وفى حملات التتار والصليبيين .. وكما سيخطئون دائما فى كل حسابات يحسبونها .. ، لأنهم (يمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين)[1] .

للمسلم ان يفخر بعقيدته ، التى تستيقظ فى قلبه ساعة الخطر ، لتنبهه الى ذلك الخطر ... فيستعد لرده بها .. فتورده موارد الأمان والفلاح .. بينما تورد المتربصين بها وبه موارد التهلكة .. بأيديهم ، وما صنعته تلك الأيدى الآثمة :

ــ « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ، ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين »[2] .

---

(١) قرآن كريم : الأنفال ــ ٨ : ٣٠ .

(٢) قرآن كريم : الأنفال ــ ٨ : ١٧ ، ١٨ .

مراجع الكتاب

أولا : المراجع العربية :

١ ـ أ . أليكسييف : القانون الاقتصادى للرأسمالية الحديثة ـ ترجمة اسماعيل عبد الرحمن ـ دار الفكر ـ ١٩٥٨ .

٢ ـ أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ الطبعة العاشرة ـ مطابع على بن على ـ الدوحة ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٣ ـ الشيخ أحمد حسن الباقورى : « الدين أصل فى الفطرة الانسانية » ـ **منار الاسلام** ـ تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف ، فى دولة الامارات العربية المتحدة ـ العدد الأول ـ محرم ١٣٩٦ هـ ـ يناير ١٩٧٦ م .

٤ ـ الدكتور أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق ـ نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان أمين ـ دار الشروق ـ ١٩٧٥ .

٥ ـ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : « العلاقات بين الشرق العربى وأوربا ، بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر » ـ **دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة** ـ الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ـ مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) .

٦ ـ أحمد عطية : القاموس السياسى ـ الطبعة الثالثة ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٨ .

٧ ـ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام ـ (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨ .

٨ ـ أرنولد توينبى : الحرب والمدنية ـ ترجمه أحمد محمود سليمان ـ راجعه الدكتور محمد أنيس ـ رقم (٥٠٧) من (الألف كتاب) ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٤ .

٩ ـ البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ، بين النظرية والتطبيق ـ مكتبة وهبة (بدون تاريخ) .

١٠ ـ دكتور الدمرداش سرحان ، ودكتور منير كامل : المناهج ـ الطبعة الثالثة ـ دار العلوم للطباعة ـ ١٩٧٢ ٠

١١ ـ الدومييلي : العلم عند العرب ، واثره فى تطور العلم العالمى ـ نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى ـ قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى ـ جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافية ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ ١٩٦٢ ٠

١٢ ـ الدكتور السيد أبو النجا : « القراءة مبدأ حسابى » ـ **لماذا نقرأ ؟** ـ لطائفة من المفكرين ـ دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) ٠

١٣ ـ السيد أحمد الهاشمى : السعادة الأبدية ، فى الشرائع الاسلامية ـ الطبعة الرابعة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٣ ٠

١٤ ـ المعجم الوسيط ـ الجزء الثانى ـ قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ـ وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون ـ مجمع اللغة العربية ـ مطبعة مصر ـ ١٩٦١ ٠

١٥ ـ الموسوعة السياسية ـ اشراف : د٠ عبد الوهاب الكيالى ، وكامل زهيرى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ٠

١٦ ـ الياس أنطون الياس ، وادوارد أ٠ الياس : القاموس العصرى ـ انكليزى / عربى ـ الطبعة الثالثة عشرة ـ المطبعة العصرية ـ ١٩٦٢ ٠

١٧ ـ أنيس منصور : طلع البدر علينا ـ الطبعة الأولى ـ المكتب المصرى الحديث ـ ١٩٧٥ ٠

١٨ ـ ب٠ج٠ وودز : التعاون الاقتصادى وأساليبه ـ الكتاب الثانى من سلسلة (كتب الناقوس) ـ مراجعة وتقديم عباس محمود العقاد ـ مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) ٠

١٩ ـ برتراند رسل : النظرة العلمية ـ تعريب عثمان نويه ـ مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن ـ الجامعة العربية (الادارة الثقافية) ـ مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) ٠

٢٠ ـ برتراند رسل : نحو عالم أفضل ـ ترجمة ومراجعة درينى خشبة ،

وعبد الكريم أحمد ـ رقم (٦٨) من مشروع (الألف كتاب) ـ العالمية للطبع والنشر (بدون تاريخ) ٠

٢١ ـ بيوت الله ، مساجد ومعابد ـ الجزء الثانى ـ كتاب الشعب ـ رقم ٧٨ ـ مطابع الشعب ـ ١٩٦٠ ٠

٢٢ ـ جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى ـ ترجمة وتقديم راشد البراوى ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ٠

٢٣ ـ جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتى ـ ترجمة محمد بدران ـ مكتبة الانجلو المصرية (بدون تاريخ) ٠

٢٤ ـ جوزيف شومبيتر : الراسمالية والاشتراكية والديموقراطية ـ تعريب وتعليق خيرى حماد ـ الجزء الأول ـ العدد (١٨١) من (اخترنا لك) ـ الدار القومية للطباعة والنشر (بدون تاريخ) ٠

٢٥ ـ جون كينيث جالبريث : أضواء جديدة على الفكر الاقتصادى ـ ترجمة الدكتور خليل حسن خليل ـ مراجعة وتقديم الدكتور سعيد النجار ـ دار المعرفة ـ ١٩٦٢ ٠

٢٦ ـ دكتور حسن حسنى أبو السعود : « النظائر المشعة ، فى خدمة الصناعة » ـ **الذرة فى خدمة السلام** ـ مجموعة المحاضرات ، التى القيت بالمؤتمر السنوى السادس والعشرين ، للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، الذى عقد فى المدة من ٣١ مارس الى ٥ ابريل سنة ١٩٥٦ ـ رقم (٢٧) من (الألف كتاب) ـ مكتبة مصر (بدون تاريخ) ٠

٢٧ ـ ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحياة ـ تعريب عبد المنعم محمد الزيادى ـ الطبعة الخامسة ـ مؤسسة الخانجى بمصر (بدون تاريخ) ٠

٢٨ ـ ديل كارنيجى : كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر فى الناس ؟ ـ تعريب عبد المنعم محمد الزيادى ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الخانجى بمصر (بدون تاريخ) ٠

٢٩ ـ رالف ت ٠ فلوولنج : « الفلسفة الشخصانية » ـ **فلسفة القرن العشرين** ـ مجموعة مقالات فى المذاهب الفلسفية المعاصرة ـ نشرها دجوبرت

د. رونز - ترجمه عثمان نويه - راجعه الدكتور زكى نجيب محمود - رقم (٤١٤) من (الألف كتاب) - مؤسسة سجل العرب - ١٩٦٣ .

٣٠ - دكتور رءوف سلامة موسى : فى أزمة العلم والجامعات - دار ومطابع المستقبل (بدون تاريخ) .

٣١ - رينيه ديكارت : مقال عن المنهج - ترجمة محمود محمد الخضيرى - الطبعة الثانية - راجعها وقدم لها : الدكتور محمد مصطفى حلمى - من (روائع الفكر الانسانى) - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - ١٩٦٨ .

٣٢ - الدكتور سعد الدين الجيزاوى : فصول فى تربية الشخصية الاسلامية - رقم (٨١) من (دراسات فى الاسلام) - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة - السنة السابعة - ١٤ مارس ١٩٦٨ .

٣٣ - دكتور سعد ماهر حمزة : المقدمة فى اقتصاديات التبعة والتنمية : تجارب أفريقية وعربية - دار المعارف بمصر - ١٩٦٧ .

٣٤ - دكتور سعد مرسى أحمد ، ودكتور سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم - عالم الكتب - ١٩٧٢ .

٣٥ - دكتور سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة - ١٩٧٤ .

٣٦ - دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، وأثرها فى الحضارة الأوربية - الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - ١٩٦٣ .

٣٧ - الدكتور سيد أحمد عثمان : « المسئولية الاجتماعية فى الاسلام - دراسة نفسية » - **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** - بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس - عالم الكتب - ١٩٧٣ .

٣٨ - سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام - الطبعة الثالثة - مطبعة دار الكتاب العربى - ١٩٥٢ .

٣٩ - سيد قطب : هذا الدين - دار الشرق (بدون تاريخ) .

٤٠ - صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية - (دراسات فى التربية) - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - ١٩٦٤ .

٤١ - دكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى ، أضواء على الأصول الصهيونية لفكر سجمند فرويد - الطبعة الأولى - عالم الكتب - ١٩٧٠ .

٤٢ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : القرآن وقضايا الانسان - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٢ .

٤٣ - عباس محمود العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوربية - الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ .

٤٤ - عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن الكريم - دار الاسلام - القاهرة - ١٩٧٣ .

٤٥ - عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية - دار الاسلام بالقاهرة - ١٩٧٣ .

٤٦ - عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه - دار الاسلام - القاهرة - ١٩٥٧ .

٤٧ - عباس محمود العقاد : عبقرية عمر - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة التربية والتعليم - ١٩٦٨ .

٤٨ - عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام - دار الهلال - ١٩٧٠ .

٤٩ - الدكتور عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة البيان العربى - ١٩٦٦ .

٥٠ - الدكتور عبد الحليم الرفاعى : الاقتصاد السياسى - الجزء الأول - الطبعة الأولى - ١٩٣٦ .

٥١ - دكتور عبد الحليم محمود : « حب الله وتوحيده » - منار الاسلام - تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات العربية المتحدة (أبو ظبى) - العدد الأول - محرم ١٣٩٦ هـ - يناير ١٩٧٦ م .

٥٢ - دكتور عبد الحميد أحمد أمين : الطاقة الذرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها - رقم (٦) من (الألف كتاب) - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٦ .

٥٣ ـ عبد الرزاق نوفل : الله ، والعلم الحديث ـ الناشرون العرب ـ دار الشعب ـ ١٩٧١ .

٥٤ ـ دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ .

٥٥ ـ عبد الغنى سيد أحمد عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ـ رسالة مقدمة الى كلية التربية جامعة عين شمس ، للحصول على درجة دكتور فلسفة فى التربية ـ قسم التربية المقارنة والادارة التعليمية (كلية التربية جامعة عين شمس) ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ (استنسل) .

٥٦ ـ الدكتور عبد الغنى عبود : « الاسلام والصحة النفسية » ـ **منبر الاسلام** ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ العدد ٢ ـ السنة ٣٣ ـ صفر ١٣٩٥ ـ فبراير ١٩٧٥ (عدد ممتاز) .

٥٧ ـ دكتور عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » ـ **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ، المجلد الثالث ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ـ ١٩٧٦ .

٥٨ ـ دكتور عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية ... فى المجتمع الشيوعى » ـ الفصل الخامس من : **فى التربية المقارنة** ـ الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٤ .

٥٩ ـ دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ .

٦٠ ـ الدكتور عبد الغنى عبود : « مع الخليل ابراهيم فى يقينه » ـ **منبر الاسلام** ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ العدد ١٢ ـ السنة ٣٢ ـ ذو الحجة ١٣٩٤ ـ ديسمبر ١٩٧٤ .

٦١ ـ عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا ، قضية الألوهية ... بين الفلسفة والدين ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧١ .

٦٢ ـ دكتور عز الدين فودة : خلاصة الفكر الاشتراكى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٦٨ .

٦٣ ـ عصر الأيدولوجية ـ مجموعة من المقـالات الفلسـفية ، قـدم لهـا : هنرى د٠ أيكن ـ ترجمة الدكتور فؤاد زكريا ـ مراجعة الدكتور عبد الرحمن بدوى ـ رقم (٤٧٩) من (الألف كتاب) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٣ ٠

٦٤ ـ على ادهم : حقيقة الشيوعية ـ تقديم جمال عبد الناصر ـ المكتب المصرى الحديث (بدون تاريخ) ٠

٦٥ ـ ف٠ يليوتن : التعليم العالى ، فى الاتحاد السوفيتى ـ ترجمة محمود حشمت ـ دار يوليو للنشر (بدون تاريخ) ٠

٦٦ ـ فتحية حسن سليمان : التربية عنـد اليـونان والرومان ـ مكتبـة نهضة مصر (بدون تاريخ) ٠

٦٧ ـ قاموس النهضـــة ، فى اللغتين الانجليزية والعربية ـ وضـعه اسماعيل مظهر ـ راجعه محمد بدران ، وابراهيم زكى خورشيد ـ الطبعـة الأولى ـ مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) ٠

٦٨ ـ قرآن كريم ٠

٦٩ ـ ف٠ ش٠ تيلر : الكيميـــاء والانســـان ـ ترجمة الدكتور حسـن [illegible] ـ مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل ـ رقم (٤٤١) من (الألف كتاب) ـ دار الهلال ـ ١٩٦٢ ٠

٧٠ ـ ك٠ م٠ بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويـد ـ مراجعـة أحمـد خاكى ـ من الفكر السـياسى والاشـتراكى ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ الادارة العـامة للثقافة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٢ ٠

٧١ ـ كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين ـ ترجمة عثمان نويه ـ تقديم صلاح دسوقى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٢ ٠

٧٢ ـ ل٠ ا٠ ليونتيف : الموجز فى الاقتصاد السياسى ـ ترجمة أبو بكر يوسف ـ مراجعة ماهر عسل ـ من سلسلة (من الفكر السياسى والاشتراكى) ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ ١٩٦٧ ٠

٧٣ - محمد الصادق عرجون : الموسوعة ، فى سماحة الاسلام - المجلد الأول - مؤسسة سجل العرب - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٧٤ - محمد الغزالى : التعصب والتسامح ، بين المسيحية والاسلام - دار الكتاب العربى فى مصر (بدون تاريخ) .

٧٥ - محمد الغزالى : خلق المسلم - الطبعة التاسعة - مطابع قطر الوطنية - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٧٦ - محمد الغزالى : فقه السيرة - مطابع على بن على - الدوحة - قطر (بدون تاريخ) .

٧٧ - الدكتور محمد بديع شرف : « اليقظة الفكرية والسياسية فى القرن التاسع عشر » - **دراسات تاريخية ، فى النهضة العربية الحديثة** - الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية - مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) .

٧٨ - محمد شديد : منهج القرآن فى التربية - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز (بدون تاريخ) .

٧٩ - محمد عطية الابراشى : التربية فى الاسلام - رقم (٢) من (دراسات فى الاسلام) - يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف - ١٥ رمضان سنة ١٣٨٠ - ٢ مارس سنة ١٩٦١ .

٨٠ - محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة ، من عهد النهضة الأوربية ، الى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون - المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة - ١٩٣٤ .

٨١ - فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : القضاء والقدر ، معجزات الرسول ، اعجاز القرآن ، مكانة المرأة فى الاسلام - اعداد وتقديم أحمد فراج - الطبعة الثانية - دار الشروق - سبتمبر ١٩٧٥ .

٨٢ - الدكتور محمد لبيب النجيحى : فى الفكر التربوى - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٠ .

٨٣ - الدكتور محمد منير مرسى : الاتجاهات المعاصرة ، فى التربية المقارنة - عالم الكتب - ١٩٧٤ .

٨٤ ـ دكتور محمود عبد الرزاق شفشق ، ومنير عطا الله سـليمان : تاريخ التربية ، دراسة تاريخية ثقافية إجتماعية ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٨م.

٨٥ ـ الدكتور محمود حب الله : « موقف الاسلام من المعرفة والتقـدم الفكرى » ـ **الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة** ـ مجموعة البحوث التى قـدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الاسـلامية ـ جمـع ومراجعة وتقديم محمد خلف الله ـ مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) .

٨٦ ـ مصطفى محمود : الماركسـية والاسـلام ـ دار المعـارف بمصر ـ ١٩٧٥م.

٨٧ ـ الدكتور مهدى بن عبود : عقيدة الاسلام ، أيديولوجية المستقبل ـ الطبعة الأولى ـ المختار الاسلامى ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٨٨ ـ منير البعلبكى : المورد ، قاموس انجليزى عربى ـ الطبعـة السابعة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٤ .

٨٩ ـ هـ. ا. ل. فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث (١٧٨٩ ـ ١٩٥٠) ـ تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع ـ (جمعيـة التـاريخ الحديث) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٨ .

٩٠ ـ الدكتور هارى نيكولز هولز : قصة الكيمياء ، من خلال أنبوبة الاختبار ـ ترجمة الدكتور الفونس رياض ، والدكتور عبد العظيم عباس ـ مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل ـ رقم (٢٨٤) من (الألف كتاب) ـ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (بدون تاريخ) .

٩١ ـ مهندس وائل عثمان : حزب الله ، فى مواجهة حزب الشيطان ـ تقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة نهضـة مصر ـ ١٩٧٥ .

٩٢ ـ وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان ـ ترجمة ظفر الاسلام خان ـ مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شـاهين ـ الطبعة الخامسة ـ المختار الاسلامى ـ ١٩٧٤ .

٩٣ ـ وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الإسـلام

ومقتضياته ـ ترجمة ظفر الاسلام خان ـ الطبعة الاولى ـ المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٧٣ ٠

٩٤ ـ الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١ ٠

٩٥ ـ الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٢ ٠

٩٦ ـ الدكتور يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٣ ٠

ثانيا ـ المراجع الأجنبية :

1. AFANASYEV, A. : Marxist Philosophy, A Popular Outline; Third Editon, Progress Publishers, Moscow., 1968.

2. BENIANS, SYLVIA : From Renaissance to Revolution, A Study of the Influence of Political Development of Europe; Methuen & Co., Ltd., London, 1923.

3. DUBIN, ROBERT : Human Relations in Administration, with Readings; Third Edition, Prentice-Hall of India Private Limited, New-Delhi, 1970.

4. FIRTH, C. B. : History, Second Series, Book Three, Pioneers in Religion and Science; Ginn and Company Ltd., London, 1949.

5. HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958.

6. HUDSON, WILLIAM HENERY : The Story of the Ranaissance; Goerge G. Harrap & Company Ltd., London, 1928.

7. ILYICHOV, L. F. and others : Frederick Engels, A Biography; Progress Publishers, Moscow, 1974.

8. LEOPOLD, A. STRAKER and the Editors of LIFE : The Desert; LIFE Nature Library, Time-Life International (Nederland), N. V., 1963.

9. LLOYD, CHRISTOPHER : Democracy and Its Rivals, An Introduction to Modern Political Theories; Longmans, Green and Co., London, 1940.

10. ORGAN, TROY : "The Philosophical Bases of Integration" — THE INTEGRATION OF EDUCATIONAL EXPERIENCES, The Fifty - seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education, Chicago, Illinois, 1958.

11. POSPELOV, P. N. (Edited by) : Vladimir Ilyich Lenin, A Biography; Second Edition, Progress Publishers, Moscow, 1966.

12. SAGAN, CARL and LEONARD, JONATHAN NORTON, and the Editors of LIFE : Planets; LIFE - Science Library, Time - Life International (Nederland) N. V., 1967.

13. The Concise Oxford Dictionary of Current English - Edited by: H. W. FOWLER and F. G. FOWLER, based on the Oxford Dictionary; Fourth Edition, Revised by : McINTOSH, Oxford, At the Clarendon Press, 1959.

14. ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961.

للمؤلف

اولا : من كتب التربيــة :

١ ــ **فى التربيــة المقــارنة** ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٤ (مع الدكتـــورة نازلى صالح) .

٢ ــ **الأيديولوجيا والتربيــة ، مدخل لدراسة التربية المقــارنة** ــ دار الفكر العربى ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ ــ **نحو فلسفة عربية للتربيــة** ــ دار الفكر العربى (مع الدكتور عبد الغنى النورى) ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤ ــ **فى التربية الاسلامية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ .

٥ ــ **فى التربية المعاصرة** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ (مع الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع) .

٦ ــ **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٨ .

٧ ــ **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** ــ دارالفكرالعربى ــ ١٩٧٨ .

٨ ــ **البحث فى التربية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٩ .

٩ ــ **التربية ومشكلات المجتمع** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٠ .

ثانيا : من كتب سلسلة (الإسلام وتحديات العصر)

(وتصدرها كلهـا : دار الفكر العربى)

١ ــ **العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعـاصرة** ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ ــ **الله ، والانسان المعـاصر** ــ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعـة الثانية ١٩٨٠ .

٣ ــ **الاسلام والكون** ــ مايو ١٩٧٧ .

٤ ــ **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعـاصر** ــ يناير ١٩٧٨ .

٥ ــ **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** ــ يونية ١٩٧٨ .

٦ ــ **انبياء الله ، والحياة المعـاصرة** ــ سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ ــ **قضية الحرية ، وقضايا أخرى** ــ يناير ١٩٧٩ .

٨ ــ **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** ــ يونية ١٩٧٩ .

٩ ــ **الملامح العامة ، للمجتمع الاسلامى** ــ فبراير ١٩٨٠ .

١٠ ــ **ديناميات المجتمع الاسلامى** ــ يونية ١٩٨٠ .

الكتاب التالى من السلسلة :

الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة

يصدر فى مطلع العـام القادم باذن الله

رقم الايداع ٣١١٨ / ١٩٨٠

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني - القاهرة
تليفون : ٧٤٤٠٧٦ - ٧٤١٦٩٨

فى هــذا الكتــاب

ولم يغفــل الاسلام حرية الفــرد ، كما فعلت الشيوعية ، الا أنه لم يجعل هــذه الحرية مطلقــة ، كما فعلت الرأســمالية ، وانمــا ربطهــا بمصدرها الحقيقى ... وهو الله سبحانه .

ولم يغفل الاسلام أهمية الجماعة ، كما فعلت الرأسمالية ، الا انه لم يجعل الجماعة سيفا مسلطا على رقاب الناس ، كما فعلت الشيوعية ، وانما أقام (تلاحما) ـ لابد أن يقوم ـ بين الفرد ، والجماعة التى يعيش بينها ، وجعل الفرد مسئولا عن الجماعة ، والجماعة مسئولة عن الفرد ، وربط الفرد والجماعة معا ، بنظام أكبر ، وهو هذا الكون الواسع ، الذى نعيش فيــه ، وعلى رأســه ـ بطبيعة الحــال ـ رب الكون والكائنــات جميعــا .

وبذلك وفــر الاسلام للانسان ، خير ما فى الرأسمالية ، وهو حرية الفرد ، ووفر له خير ما فى الشيوعية ، وهو صالح الجماعة ، وجنب الفرد المســلم ، شر ما فى المذهبــين ـ أو الأيديولوجيتين ـ المتناقضتين ، وهو (مبالغة) كل منهما فيما ذهبت اليه ، وفصــل كل منهما ، بين الانسان ومصدر وجوده ، وسبب طمأنينته ، وهو ... الله سبحانه .

الكتاب التالى من السلسلة :

الله ، والانسان المعــاصر

الثمن : ١٠٠ قرش .

